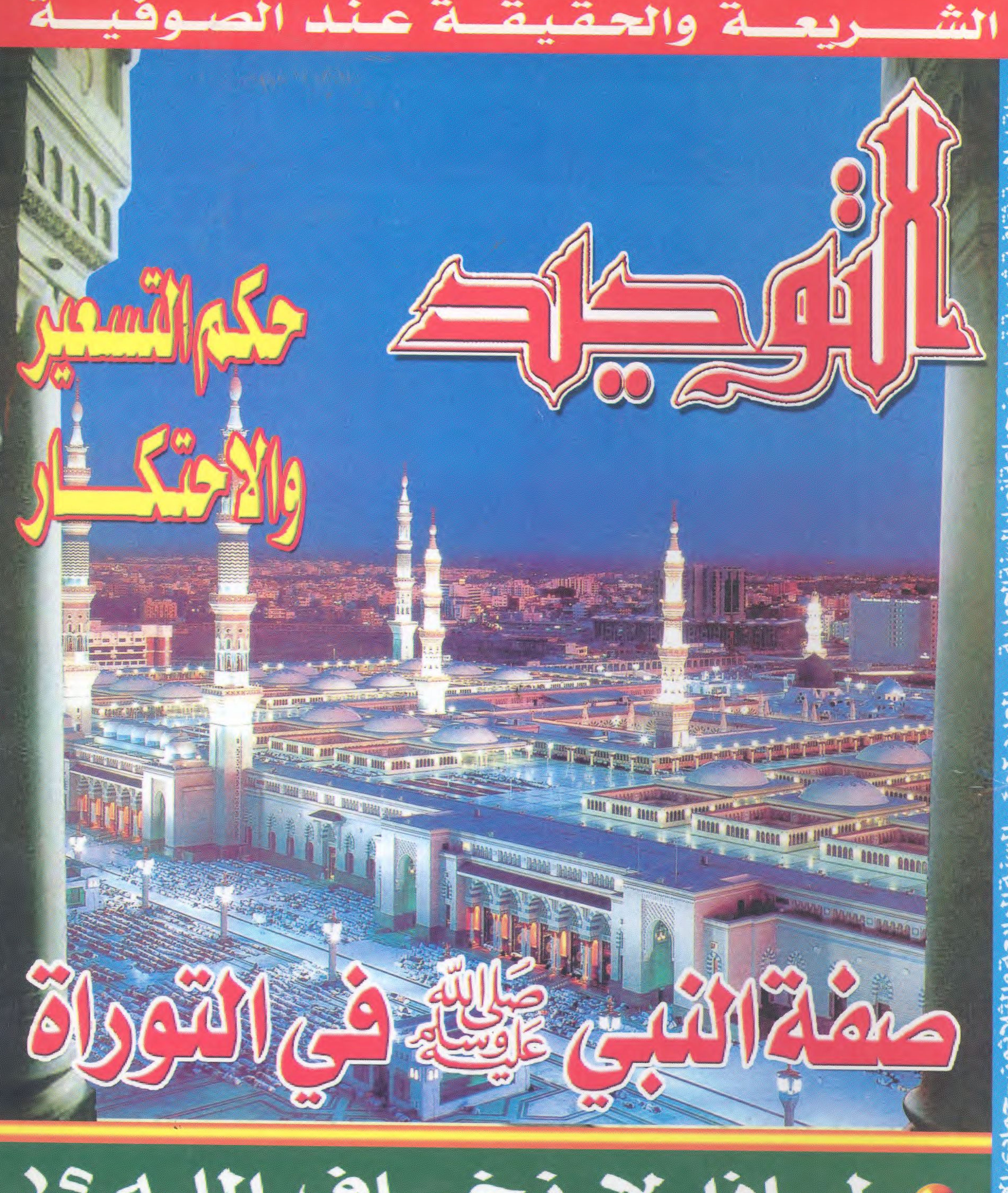
الشريعة والحقيقة عند الصوفية

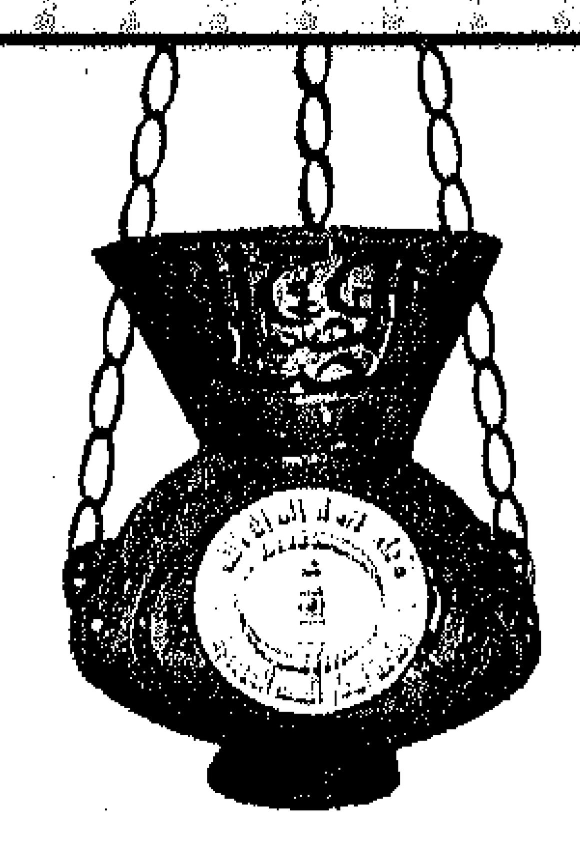


مجلة إسلامية ثقافية شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٤٠٢ - السنة الرابعة والثلاثون - جمادى الآخرى - الثمن ١٥٠ قرشا

- لماذا لا نخاف الله ؟!
- إلى من يهوى سكن الجنة
- المستجيرون من الرمضاء بالنار !!

بسم الله الرحمن الرحيم

رئيس مجلس الإدارة د. جمال المراكبي





مجلة التوحيد

إسلامية - ثقافية - شهرية

السنة الرابعة والثلاثون

العدد ٤٠٢ - جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ

الثمن ١٥٠ قرشًا

المشرف العام

د. عبد الله شاكر

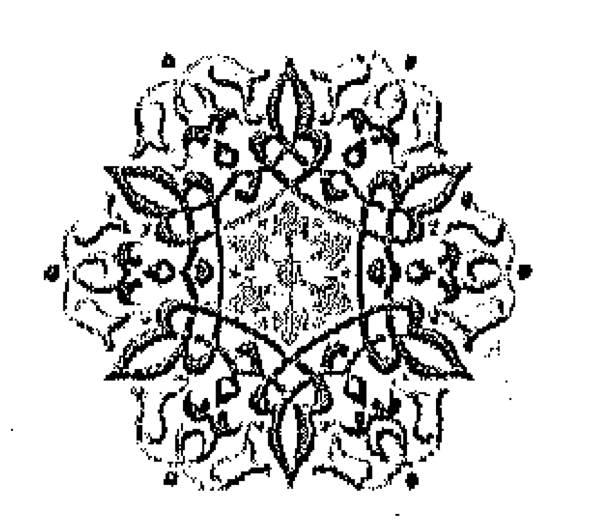
اللجنة العلمية

د. عبد العظيم بدوي

زكريا حسيني

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل



السلام عليكم

حينما يعتبر أهل البصر

لما جاءت غنائم جيوش كسرى إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فرأى فيها مظاهر الدنيا الخلابة الخداعة التي بُذِلَتْ فيها ملايين الدنانير، ثم لم تُغن عن أصحابها شيئًا، فقد شتَّتهم الله في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب الجحيم؛ ثم سيقت هذه الغنائم إلى عمر ليقتسمها هو وجنود الإسلام، إذا به رضي الله عنه يقارن ببصره وبصيرته بين حياته وحياة صاحبيه رسول الله ﷺ وخليفته أبي بكر رضي الله عنه، فوجد أن الله سلَّمهما من رؤية هذا المال الفاتن، فخشي أن يكون قد ابتُليَ به استدراجًا فبكى وقال: «اللهم إنك منعتَ هذا رسولك ونبيك وكان أحب إليك مني وأكرم عليك مني، ومنعتَهُ أبا بكر وكان أحب إليك مني وأكرم عليك مني، وأعطيتنيه فأعوذ بك أن تكون أعطيتنيه لتمكر بي، ثم بكى حتى أشفق عليه من كان عنده، ثم قال لعبد الرحمن بن عوف: أقسمتُ عليك لما بِعْتَه ثم قسمْتَهُ قبل أن تُمسي.

التحرير

البريد الإلكتروني

المجلة Mgtawheed@hotmail.com

رئيس التحرير Gshatem@hotmail.com

التوزيع والاشتراكات Ashterakat@hotmail.com

موقع المجلة على الانترنت www.altawhed.com

موقع المركز العام www.ELsonna.com

التحرير / ٨ شارع قوله - عابدين القاهرة

ت: ٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات ت: ٣٩١٥٤٥٦

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

رئيس التحرير **جمال سعد حاتم** مدير التحرير الفني **حسين عطا القراط**

في هذا العدد

صاحبة الامتياز



ثمن النسخة

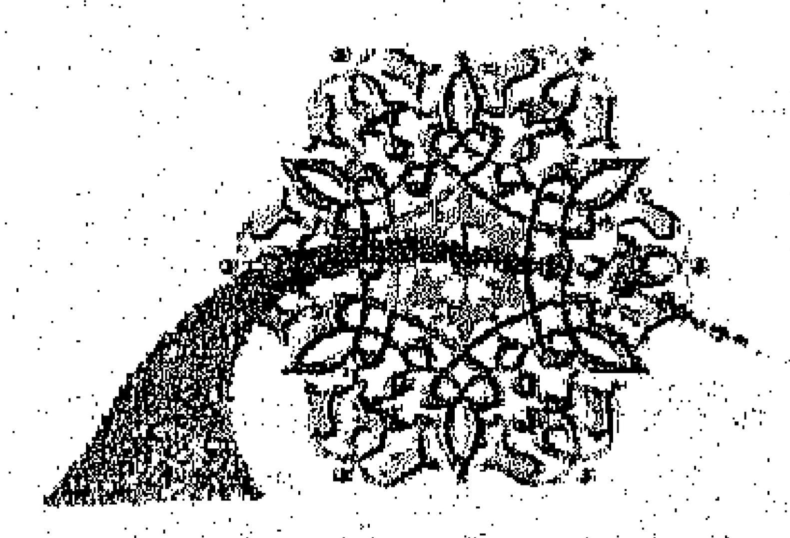
مصر ١٥٠ قرشًا، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو.

الاشتراك السنوي:

١- في الداخل ٢٠ جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).

٢- في الخارج ٢٠ دولاراً أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلها.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - انصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).



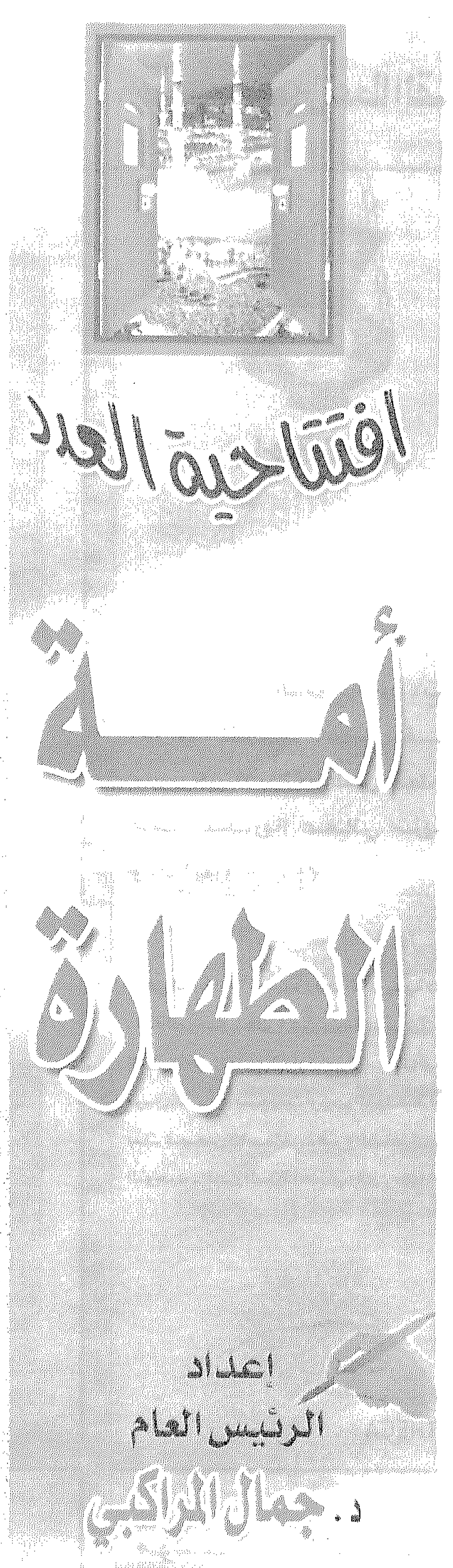
المركز العام: القاهرة - ٨ شارع قوله - عابدين

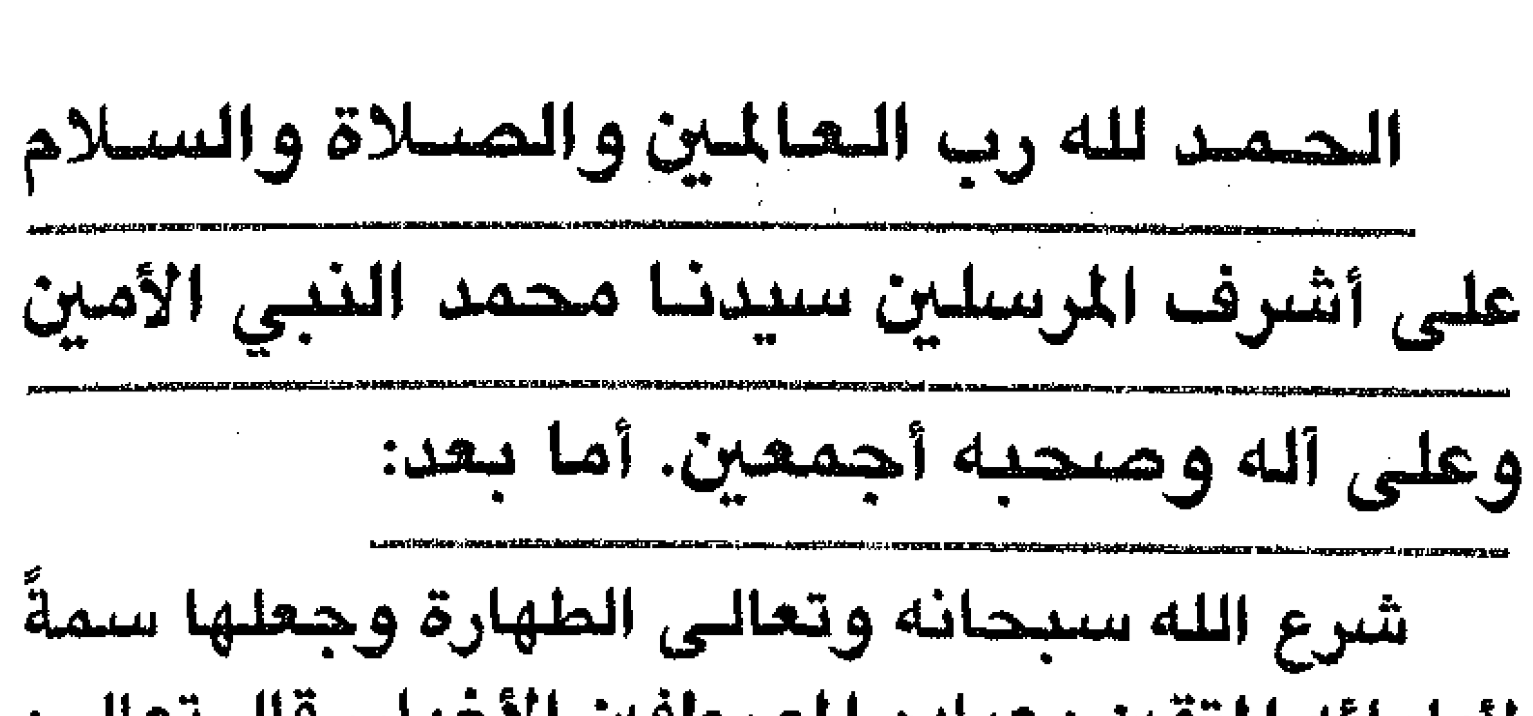
هاتف: ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦

التوزيع الداخلي

مؤسسة الأهرام

وفروع أنصار السنة المحمدية





الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

شرع الله سبحانه وتعالى الطهارة وجعلها سمةً لأوليائه المتقين وعباده المصطفين الأخيار، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [٤٢].

وقال تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣].

فأخبر سبحانه بما خاطبت به الملائكة مريم عن أمر الله لهم أن الله اصطفاها لطهارتها، وطهرها لاصطفائها على نساء العالمين، فجعلها صديقة، وبشرها بمولد المسيح عيسى ابن مريم، وجعلها من الكاملات من النساء، وذلك لكثرة عبادتها وزهدها وشرفها وطهارتها من الأكدار والأرجاس.

وقال تعالى عن المسيح عيسى ابن مريم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ٥٥].

فأخبر الله سبحانه المسيح أنه مطهره من الذين كفروا برفعه إياه إلى السماء وعدم تمكين أعداء الله من قتله وصلبه والتسلط عليه.

وعهد الله إلى إبراهيم وولده إسماعيل عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام أن يطهرا بيته الحرام من أدران الكفر والشرك ومن كل سوء، فقال سبحانه: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]، ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

قال الحسن: أمرهما الله أن يطهرا البيت من الأذى والنجس، وقال ابن عباس: من الأوثان. وقال مجاهد وسعيد بن جبير: من الأوثان والرفث وقول الزور والرجس.

ولا شك أن البيت الحرام لم يصبه شيء من الأرجاس والأدناس في حياة إبراهيم وإسماعيل عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام فيصبح المعنى أن طهرا النفوس من أدران الشرك والمعصية فلا يتلطخ البيت بشيء من ذلك.

ولقد بقي العرب على الحنيفية ملة إبراهيم مدة طويلة يعظمون فيها البيت ويطهرونه من الرجس والدنس حتى أحدث عمرو بن لحي عبادة الأصنام

والأوثان وجعلها حول البيت، وتابعه قومه على ذلك وتركوا ملة إبراهيم(١).

وبقي ذلك دأب العرب حتى بُعث النبي الخاتم محمد ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ويدعوهم إلى توحيد الله عز وجل وإحياء الحنيفية السمحة ملة أبيهم إبراهيم، وقد قام النبي ﷺ بذلك خير قيام منذ أرسله ربه عز وجل وأمره بإنذار قومه عاقبة الشرك، وأمره كذلك بتطهير قلبه وقلوبهم من هذه الأدران، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾. قال أبو سلمة: والرجز: الأوثان.

وقد تم ذلك التطهير للبيت العتيق على مراحل:
الأولى: تطهير القلوب من علائق الكفر والشرك بتوحيد الله عز وجل وإخلاص العبادة له.

الثانية: قتال أئمة الكفر الذين يصدون عن سبيل الله ويزعمون أنهم سدنة البيت وأخص الناس به وأصحاب السقاية فيه.

الثالثة: فتح مكة وتحطيم الأوثان والأصنام حول البيت.

الرابعة: نهيه ﷺ أن يحج المشركون البيت، فأرسل مناديًا ينادي في موسم الحج في العام التاسع للهجرة لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له من المشركين عهد فعهده إلى مدته، ثم كان تطهير جزيرة العرب من الشرك والمشركين، ثم وصية النبي ﷺ عند موته بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب.

وقد ظل البيت الحرام مطهرًا من أدران الشرك إلى يومنا هذا بفضل من الله وتوفيقه، ثم بجهود دعاة التوحيد حفظ الله أحياءهم، ورحم أمواتهم، وجعلنا وإياهم من الطائفة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة.

معنى الطهارة:

الطهارة نقيض النجاسة. والطُّهور- بالضم- فعل التطهر وبالفتح الماء الذي يُتطهر به.

والطهارة من المنظور الشرعي ليست مقصورة على رفع الأحداث، وإزالة النجاسات، بل تعم إزالة العيوب والأدران من القلوب والأبدان، وبهذا وردت النصوص الشرعية وعلى هذا فالطهارة في الكتاب والسنة على أقسام:

أولاً... الطهارة الحسية الظاهرة

وهذه إما طهارة من الحدث وإما طهارة من الخبث وطهارة الحدث برفعه بالوضوء أو الغسل وينوب عنهما التيمم عند عدم الماء، أو عند العجز عند استعمال الماء.

وطهارة الخبث تكون بإزالته بالماء ونحوه من الثوب والبدن ومواضع الصلاة.

وهذا القسم من الطهارة يعتني الفقهاء ببيانه في كتب الفقه، وهو من الأهمية بمكان حيث لا تصح الصلاة إلا بالطهور كما أخبر النبي ﷺ: «لا صلاة إلا بطهور».

ثانيًا: الطهارة المعنوية من الشرك والنفاق والرياء ومن الذنوب والمعاصي القلبية والبدنية

وهذه يعتني بها أهل السلوك، والسائرون إلى مرضاة رب العالمين، ويزعم المتصوفة أنهم المعتنون بهذا القسم، والحق أن أهل السنة وأصحاب الحديث والفقه أولى الناس بهذا ولكنهم يعتمدون منه ما دل عليه الدليل الشرعي من الكتاب والسنة وإجماع الأمة، بينما يعتمد غيرهم الأذواق والمواجيد وربما الأهواء ويحدثون فيه الكثير من البدع والضلالات(٢).

وقد جمع الله عز وجل لهذه الأمة بين طهارة الباطن وطهارة الظاهر حتى أضحت هذه الأمة بحق أمة الطهارة.

الدخول على الله مشروط بالطهارة

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة: ٦].

فجمع الله سبحانه بين طهارة الوضوء وطهارة الغسل والبديل عنهما وهو التيمم في آية واحدة، ثم أشار إلى طهارة الباطن في قوله في ختام الآية: ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ يريد الله ليطهركم ظاهرًا وباطنًا، وبذلك يُتم نعمته عليكم، وتمام النعمة بدخول الجنة والنجاة من النار.

وجمع الله سبحانه بين طهارة الظاهر وطهارة الباطن في قوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾، وأخبر أنه يحب التوابين ويحب المتطهرين، فجمع سبحانه بين طهارة الباطن بالتوبة، وبين طهارة الظاهر، وهي الطهارة من الحدث والتطهر من الحيض: قال تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا

النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ومدح الله أصحاب نبيه ﷺ ووصفهم بالطهر ومحبة التطهر فقال: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

والدخول إلى الجنة مشروط بالطهارة، فالجنة طيبة لا يدخلها إلا الطيبون المطهرون من أدران الشرك والذنوب.

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

فجعل المولى تبارك وتعالى دخول الجنة معلقًا على شرط أن يكونوا طيبين طاهرين متطهرين، لأجل ذلك يحبس المؤمنون على قنطرة بين الجنة والنار، ولا يدخلون الجنة حتى يقتص بعضهم من بعض، ولا يدخل الجنة إلا نفس طيبة.

ونساء الجنة طاهرات مطهرات كما أخبر المولى تبارك وتعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

وشراب الجنة طهور كما قال عز وجل: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١].

ومن لم يتطهر باطنًا وظاهرًا ناله الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة، وهذا حال المغضوب عليهم من الكافرين والمنافقين المسارعين إلى سخط الله وغضبه كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١].

كيف يتطهر المؤمن؟

يتطهر المؤمن من الخبث الحسي بإزالته بالماء أو بغيره ويتطهر من الحدث الأصغر بالوضوء، ومن الحدث الأكبر بالغسل، فإذا فقد الماء أو عجز عن استعماله تيمم كما هو معروف معلوم في النصوص الشرعية ومفصل في كلام الفقهاء عن الطهارة.

ويعتني المؤمنون بطهارة باطنهم وطهارة قلوبهم أكثر من اعتنائهم بطهارة الظاهر، لأن طهارة القلوب هي الأصل والأساس وعليها مدار القبول، وتتحقق هذه الطهارة بإخلاص العمل لله عز وجل، وتنقية القلوب من أدران الشرك والكفر والذنوب والمعاصي.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ ومعنى هذا أن نجاسة الشرك نجاسة أصلية لا تزول ولا تقبل التطهير ما دام وصف الشرك قائما، وعليه فإن الله حرم على المشركين الجنة، وأخبر أنه سبحانه لا يغفر الشرك بحال من الأحوال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

أما نجاسة الذنوب والمعاصي القلبية والبدنية فإنها ترتفع وتزول وتطهر بالتوبة النصوح والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفرة.

قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧]

وقد جعل الله سبحانه أنهارًا للتطهير في الدنيا، ووصف النبي ﷺ الصلوات الخمس بأنها نهر يغتسل فيه المؤمن كل يوم خمس مرات حتى لا يبقى من درنه شيء، ومن لم تكفه هذه الأنهار كان عرضه لدخول النار يتطهر فيها من ذنوبه ثم يخرج منها، يقول ربنا عز وجل: «أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة». [مسند احمد ح١٣٨٦٣ وإسناده صحيح]

---

(١) قال رسول الله ﷺ: رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار- أي يجر أمعاءه في النار- لأنه سيب السوائب وغير دين إبراهيم.

(٢) راجع مدارج السالكين شرح منازل السائرين لابن القيم ومنهاج القاصدين ومختصره على سبيل المثال.



الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى آله وصحبه وسلم وبعد:

فإن المخاطر كثيرة، وإن مكر الأعداء لا يتوقف، وهذا كله يستوجب يقظة الجميع في مواجهة ما يحاك بالأمة ويدبر لها من مكائد تهدد أمنها واستقرارها، إننا بحاجة إلى مواجهة مخططات الأعداء متسلحين بسلاح الإيمان والثقة بالله حتى يرد الله كيد العدو في نحره ويحقق للأمة ما تنشده وتصبو إليه من أمن واستقرار.

بالأمس القريب وقفت وسط أكثر من سبعمائة مصري وزيرة خارجية أمريكا جلسوا يستمعون إليها في الجامعة الأمريكية بمصر، وانتظر الجميع منها اعتذارًا عن تدنيس المصحف الشريف وهي في بلد الأزهر ولكنها تجاهلت ذلك وراحت تطل علينا بوجه سمح وابتسامة تبدو صافية راحت تعطينا الدروس في كيفية التخلص من التخلف عن الديمقراطية وتبني أجندة الإصلاح والحرية، راحت تصدر الأوامر والتعليمات.

لقد جاءت إلى المنطقة محملة بأفكار اليمين المسيحي الصهيوني المهيمن على إدارة بوش.. فراحت تعزف على أوتار معاداة أعداء إسرائيل، محكومة بنفس أفكار «جوزيف كورتين» والد وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة مادلين أولبرايت، والذي يعد أستاذها الأول الذي تلقت على يديه دروس معاداة العرب والمسلمين والوقوف إلى جانب الكيان الصهيوني، كما أنها جاءت إلى المنطقة محملة بأفكار المحافظين الجدد في البيت الأبيض والمؤمنين بأن الحرب الأمريكية في العراق حرب صليبية مقدسة تمامًا مثلما قالها رئيسها بوش من قبل.

جاءت الوزيرة إلى المنطقة متأثرة بحياة العبودية التي عانت منها كسيدة سوداء اقتاد الأمريكيون أجدادها في سلاسل كالعبيد، فأتت إلينا محاولة تفريغ عقدة النقص التي أصابتها من استعبادها واستعباد اجدادها باستعبادنا نحن بأسلحة إصلاح وتغيير، وديمقراطية سجن بو غريب ومعتقلات جوانتانامو فجعلت نفسها وصية علينا ومتحدثة باسمنا مطالبة حكومتنا نيابة عنا بأن تضع ثقتها في شعبها وأن تستبدل قانون الطوارئ بحكم القانون والعدالة، وبقبول المراقبة الدولية على أي انتخابات تجري مستقبلا!!

الحفاوة البالغة لداعية الإصلاح والحرية!!

وبقدر الألم الذي اعتصر قلوب المسلمين في أرض مصر وهم يشهدون تلك الحفاوة التي قوبلت بها رايس بقدر ما تحجرت عيونهم طويلا عن المشهد الذي تصدره تسعة من ممثلي الأحزاب ومنظمات المجتمع المدني والشخصيات التي أصرت رايس على أن يكونوا في استقبالها وشرف لقائها والتحاور معها في موقع قريب من المطار، حتى يكونوا بكل

ما أفضوا به إليها آخر المشاهد التي توقفت عندها عيناها وآخر الأفكار التي أنصتت لها بعقلها.

ولقد كان السؤال الذي اعتمل كحد السيف في قلوب كل من عايشوا أجواء لقاء كونداليزا مع الوفد المصري عن هذا المزاج الذي بدأت تتسع دائرته وسط بعض المنادين بالحرية ولو على حساب كبرياء وطنهم وكرامته، هؤلاء المنادون بالحرية ولو على كرامة شعبهم.

إن بعض من يرفعون تلك الشعارات تبرهن مواقفهم يومًا بعد يوم أن شعاراتهم ما هي إلا دعوة باطلة يقذف بها الأمريكان في وجه الوطن لعلهم يربحون بها سباقًا، أو يحققون رضا الأمريكان عنهم إنهم كالمستجيرين من الرمضاء بالنار.

أكذوبة الديمقراطية الأمريكية

إن الجوانب الهامة التي تبدو من مدعيَّة الديمقراطية والحرية كثيرة فماذا تنتظر من دولة تنشر الموت والخراب والدمار في قلب منطقتنا الإسلامية في كل من العراق وأفغانستان، ماذا ننتظر ممن يدعمون اليهود بكل ما يملكون من قوة للإبقاء على إسرائيل في المنطقة كي ترتكب المجازر يوميًا ضد الفلسطينين بصورة يندى له الجبين.

وهل أمثال هؤلاء الطغاة هم الذين يقيمون لنا الديمقراطية في بلادنا؟!

- ما هي المبالغ التي رصدتها أمريكا في ميزانيتها لنشر الديمقراطية في مقابل اعتمادها لأكبر ميزانية عسكرية في العالم لهذا العام ٤٩١ مليار دولار أقرها الكونجرس الأمريكي ثم ننتظر من أمريكا أن تقيم الديمقراطية في بلادنا؟!!

وإذا كانت الحكومة الأمريكية تدعي حقًا أنها تروج للديمقراطية فلماذا رفضت كما ذكرت صحيفة الواشنطون بوست الأمريكية في ١٤ يونيو الجاري التحقيق الدولي في مذبحة أنديجان التي وقعت في أوزبكستان وراح ضحيتها ما يقرب من ألف قتيل قتلوا وهم ينادون بالديمقراطية؟؟!! والجواب بسيط لأن حاكم أوزبكستان الحالي هو أحد خدم السياسة الأمريكية في آسيا الوسطى إذن فليذهب شعبه والمنادون بالديمقراطية في بلاده، والموتى في سبيلها إلى الجحيم!! إنهم كالمستجيرين من الرمضاء بالنار!!

كيف تدعي دولة نشر الديمقراطية وهي تقيم أكبر سجن عنصري عرفه التاريخ لا يضم إلا المسلمين في قاعدة جوانتانامو الأمريكية في كوبا، حيث انتهكت فيه حقوق البشر، ووقعت فيه أعنف صور التعذيب من الذئاب البشرية ضد المعتقلين من المسلمين بشكل وحشي وبربري لم يسبق له مثيل!!

دروس مادلين لتعليم العرب الديمقراطية!!

وعبر بوابة الصحف الأمريكية عادت وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة مادلين أولبرايت مرة أخرى للظهور لكنها اختارت هذه المرة صورة من يعلم العرب الطريق إلى

إن المجتمع التقي النقي هو ذلكم المجتمع الذي تسود فيه أجواء النقاء في المنهج والوضوح في الهدف وسلامة السريرة والعدل في الحكم

إن أمريكا التي تدعي نشر الديمقراطية وحمايتها تقيم أكبر سجن عنصري عرفه التاريخ في قاعدة جوانتانامو حيث تنتهك فيه حقوق البشر، وتقع فيه أعنف صور التعذيب بشكل لم يسبق له مثيل

الديمقراطية حيث نشرت جريدة الواشنطون بوست الأمريكية مقالا لها تحت عنوان «طريق الديمقراطية في العالم العربي» كتبت تقول فيه: «إنه لاشك أن إدارة بوش محقة بشأن ضرورة دعمها للديمقراطية في العالم العربي ولكن يبقى السؤال ما هو أنسب طريق أمامها لتنفيذ ذلك؟ وتجيب أولبرايت قائلة: إننا لو حاولنا الدفع نحو الديمقراطية بقوة سوف يسهم ذلك في تأكيد الانطباع بأننا نفرض إرادتنا على الاخرين، أما إذا فشلنا في ذلك فسوف يقال إن الولايات المتحدة تدعم الاتجاه نحو الديمقراطية في كل مكان باستثناء العالم العربي ولكي ننجح أعتقد أن هناك ضرورة لإيجاد توازن فهناك حاجة لأن يكون هناك التزام بالمبادئ الديمقراطية بجانب تفهم التعقيدات التي يموج بها العالم العربي!!

اتباع الهوى والطريق إلى الهاوية!!

إن حقيقة الإسلام هو الاستسلام لله والإنقياد له بالطاعة، فإسلام العباد لرب العالمين والقبول والرضا بحكمه وشرعه في كل نواحي الحياة فرض لازم وهو مقتضى الإسلام، ومن عارض شرع الله برأيه فليس بمستسلم لله بل هو عبد لهواه وهو المقصود بقول الله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية:٢٣] وقال سبحانه: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص:٥٠].

وإذا كنا في حاجة إلى أن نراجع أنفسنا للخروج من منزلق كيد الأعداء لأمتنا بدعوى الإصلاح والديمقراطية فأولى خطوات الإصلاح النابع من شريعتنا الإسلامية هو العودة إلى مبادئ ديننا الحنيف وإسلام القلب لله في كل الأمور فهو مقتضى الإسلام وشرط الإيمان، قال سبحانه: ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به». [اخرجه ابن ابي عاصم في السنة، والبغوي، وصححه النووي في الاربعين]

ومع أن الشريعة الإسلامية قد جاءت بمصالح الخلق إلا أنها لم توضع على مقتضى شهوة العباد وأغراضهم ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون:٧١] يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل: «إن الناس لا يفصل بينهم النزاع إلا كتاب منزّل من السماء ولو رُدُّوا لعقولهم فلكل واحد منهم عقل» مما يؤدي إلى التفرق.

ضعف الإيمان وغلبة الشيطان

ومع ضرورة العودة إلى الله والتوبة إليه والمعرفة الحقة بأن من

أعظم الفتن التي تعاني منها مجتمعاتنا المسلمة في عصرنا الحاضر هي فتنة غياب الحق وظهوره الباطل، وفقدان هيمنة المرجعية الصريحة الصحيحة في إبداء الحق ونُصرته أمام الباطل وإظهاره على الوجه الذي أنزله الله على رسوله ﷺ دون فتور أو تردّد من إملاق أو خشية إملاق أو تأويلات غلبت عليها شبهات طاغية أو شهوات دائمة مما يجعلها سببًا رئيسًا في تعرض صورة الإسلام وجوهره في المجتمعات المسلمة لخطرين واهمين:

أحدهما: خطر الإفساد في الإسلام بتشويش قيمه ومفاهيمه الثابتة بإدخال الزيف على الصحيح والغريب الدخيل على المكين الأصيل حتى يغلب الناس على أمرهم في هذا الفهم المقلوب، ويبقى الأصل في نفوسهم قائمًا في أن تجيئ فرصة سانحة تردّ الحق إلى نصابه وهم في أثناء ذلك الترقب يكونون قد أُشربوا في قلوبهم الاعتقاد الفاسد بأن ما يفعلونه من هذا البُعد والقصور في التديّن والخلط بين الزين والشّين هو الإسلام بعينه، فإذا ما قامت صيحات تصحيحيّة تدعوهم إلى الرجوع إلى المنهج الحق والتمسك بالشرعة الخالدة كما أنزلها الله أنكروا عليهم ما يدعون إليه، واتهموا الناصحين بالرجعية والجمود والعكوف على ظاهر النصوص دون روحها، كما أن دعاة التلبيس والتدليس لسان حالهم عند نصح الناصحين ينطق بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:١١، ١٢].

ويؤكد كلامنا هذا مقولة ابن مسعود رضي الله عنه التي يقول فيها: «كيف لك إذا لبستكم فتنةٌ يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير وتُتَّخذ سنَّة، فإن غُيِّرت يومًا قيل: هذا منكر»، قالوا: ومتى ذلك؟ قال: «إذا قلَّت أمناؤكم وكثُرت أمراؤكم وكثرت قراؤكم وتفقه لغير الدين والتُمست الدنيا بعمل الآخرة». (تفسير القرطبي)

إذ كل طائفة ستزعم أن لها منهجها الخاص بها فتتنوع الانتماءات إلى الإسلام في صُور يغاير بعضها بعضًا كالخطوط الممتدة المتوازية التي يستحيل معها الالتقاء حتى إننا لنرى إسلامًا شماليًا وإسلامًا جنوبيًا وإسلامًا شرقيا وآخر غربيًا، وإنما الإسلام شرعة واحدة، وصبغة ما بعدها صبغة ولكنه التضليل والتلبيس الذي يفصل بالمجتمعات ما لا تفعله الجيوش العاتية.

إن المجتمع التقي النقي هو ذلكم المجتمع الذي تسود فيه أجواء النقاء في المنهج والوضوح في الهدف وسلامة السريرة والعدل في الحكم.

اللهم ردنا إلى دينك ردًا جميلا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إن من أعظم الفتن التي تعاني منها مجتمعاتنا المسلمة في عصرنا الحاضر هي فتنة غياب الحق وتشويه معالم الدين الحنيف

سورة «نوح»

إعداد / د. عبد العظيم بدوي

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لاَ يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١- ١٢].

إن أحسن كلمة تُقالُ هي كلمةُ الدعوة إلى الله، وأحسن عمل يؤديه الإنسان هو الدعوةُ إلى الله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، أي: لا أحَدَ أحسنُ منه قولاً، والدعوةُ إلى الله وظيفةُ المصطفَيْنَ الأخيار وأتباعهم، قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

والدعوةُ إلى الله لها قواعدُ وأصولٌ يجبُ على من أرادَ القيام بالدعوة أن يتعلّمها أولاً قبل أن يخوض غمار الدعوة، كما أنّ عليه أن يستفيد من تجارب الدعاة قبله.

وسورةُ نوح من السور التي تضمنت شيئًا من قواعد الدّعوة وأصولها، وشيئًا من تجربة الداعية الأول نوح عليه السلام، أوحى الله بها إلى نبيه ﷺ ليستفيد منها هو والدعاةُ بعده.

استُفْتِحت السورةُ ببيان مصدر الإرسال، ومصدر التكليف بالدعوة: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ فالمرسل والمكلف هو الله سبحانه، وليس هناك مرسل غيره، ولا يصدر التكليفُ بالدعوة من غير الله سبحانه، وتتلخص رسالةُ نوح في قوله تعالى: ﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ والإنذار هو الإعلام المتضمن التخويف، وهو المناسب لقوم نوح، إذ كانوا على شفا حفرةٍ من النار، لما وقعوا فيه من الشرك وعبادة الأصنام، ولما كان الله لا يعذب حتى يبعث رسولاً، فإن الله تعالى بعث نوحًا إلى قومه، يدعوهم إلى التوحيد، وينذرهم عذاب الله إن

استمروا على الشرك، فـ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، أي: بيّن النذارة، ظاهر الأمر واضحه، ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾، وهكذا يجب أن تكون الدعوة؛ إلى الله، إلى عبادته وتقواه، وإلى طاعة رسوله واتباعه، لا يجوزُ أن تكون الدعوة إلى مذهب، ولا إلى رأي، ولا إلى حزب، ولا إلى شيخ، يجب أن تكون الدعوة إلى عبادة الله وحده، وطاعة رسوله.

والذي يقرأ القرآن يجد أنّ الأنبياء جميعًا وهم حملةُ راية الدعوة إلى الله، قد اتفقوا في الدعوة على كلمة واحدة، يقولها كل نبي لقومه، وهي: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف، وهود]، ولم يكن هذا الاتفاق من المرسلين أنفسهم، لأنهم لم يجتمعوا يومًا ما، ولكن لما كان المرسِلُ واحدًا، والمكلّفُ واحدًا وهو الله وحده، فقد كلّف اللهُ رسله أجمعين بالدعوة إلى شيءٍ واحد، وهو عبادة الله وحده، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده «واتقوه» بفعل ما أمره، واجتناب ما نهى عنه وزجر، «وأطيعون» في كل ما آمركم وأنهاكم، فإني لا آمركم ولا أنهاكم إلا بإذن الله، فطاعةُ رسول الله طاعةٌ لله، كما قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

ثم رغبهم في الاستجابة، فبين لهم ما لهم إذا استجابوا، فقال: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: إن استجبتم لي، وقبلتم هذه الدعوة، فعبدتم الله وحده، واتقيتم سخطه وعذابه بترك الشرك، فإن الله ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: يمدّ في أعماركم، ويدرأ عنكم العذاب الذي استوجبتموه بكفركم، ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وهذا ترغيبٌ ثانٍ في الاستجابة، ومعناه بادروا بالطاعة قبل حلول النقمة، فإنه إذا أمر تعالى بعذابكم فـ ﴿مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾ [الطور: ٨]، لأن الله إذا قضى شيئًا فلا رادّ لقضائه ولا معقّب لحكمه، ولا غالب لأمره، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾، وهكذا يجبُ على الداعة أن يحمل همّ الدعوة ليلاً ونهارًا، وأن لا يفتر عن الدعوة ولا يقعد عنها أبدًا، وأن لا ييأس من الناس وإن صرّحوا له بعدم اتباعه.

ولِمَ هذا الإصرارُ من نوح على الدعوة؟ وأيّ مصلحةٍ يرجوها؟ وأي مكسبٍ يحققه؟ وأيّ غايةٍ يطمعُ فيها؟! إنه- والله- لم يكن يطمعُ في شيءٍ سوى أن يقومَ بما كلّفه الله به، وأن يُشْهِدَ ربّه أنّه ما قصّر، وأنه بلّغ، وهذا هو الذي يملكه، ولا يملكُ قلوب الناس، ومع أنهم كانوا يفرّون منه، إلا أنه كان دائمًا يتحيّن الفرص، فيغشاهم في مجالسهم، فإذا فاجأهم: ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾، والأذنُ لا تتحمّل أصبعًا واحدًا، ولكنّ القوم من شدّة حرصهم على عدم السماع، وخوفهم أن يتسرّب إلى آذانهم شيءٌ من كلام نوح عليه السلام، ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ لئلا يسمعوا ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ عن الإيمان ﴿اسْتِكْبَارًا﴾.

ومع هذا الإصرار لم يترك نوح دعوتهم، بل استمر فيها، كما قال: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾.

وهكذا يُعلّم نوحُ عليه السلام الدعاةَ الإصرار على الدعوة، وإنْ أصرّ المدْعُوون على رفضها، لا لشيء إلا طمعًا في الأجر الذي وصفه النبي ﷺ بقوله لعلي: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من حُمْرِ النَّعم» [متفق عليه: رواه البخاري: (٣٧٠١/٧٠/٧)، ومسلم (٢٤٠٦/١٨٧٢/٤)]. وإلاّ حرصًا على نجاة المدعوين- الذين يرفضون الدعوة من النار، لأنهم يعلمون علم اليقين أنّ من رفض دعوةَ الرسل فقد وجبتْ له النار، كما قال النبي ﷺ: «مثلي ومثلكم كمثلِ رجلٍ أوْقَدَ نارًا، فجعل الجنادبُ والفراشُ يَقَعْنَ فيها، وهو يذبهن عنها، وأنا آخذُ بحُجَزِكم عن النار، وأنتم تُفلتُون من يدي» [صحيح، رواه مسلم (٢٢٨٥/١٧٩٠/٤)].

لذلك كان نوحُ مصرًا على الاستمرار في الدعوة مع إصرار قومه على عدم قبولها، وبهذا أمر الله نبينا محمدًا ﷺ، إذ قال له قومه كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي

آذانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ [فصلت: ٥] أي: فاعمل أنت على طريقتك، ونحن على طريقتنا، فلن نتبعك أبدًا، ولن نؤمن لك أبدًا، هكذا قالوا، ومع ذلك يأمر الله نبيه أن يدعوهم إلى التوحيد والاستقامة، فيقول له عقب قولهم هذا: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ [فصلت: ٦].

وفي هذا تعليمٌ للدعاة أن لا يتركوا الدعوة لمجردِ قولِ المدعوين أو بعضهم: لن نؤمن لكم. فإنّ الأمرَ ليس إليهم، وقلوبهم ليست بأيديهم، وإنما كما جاء في الحديث: «إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء».

وكم من كافرٍ حاربَ رسول الله ﷺ وحاربَ الدعوة، وقتل المسلمين، ثم شرح اللهُ صدرَه للإسلام. متى أسلم الفاروق عمر؟ ومتى أسلم سيفُ الله المسلولُ خالد؟ ومتى أسلم أبو سفيان وابنهُ معاوية؟ وغيرُهم من أمثالهم كثير.

فعلى الداعية أن لا ييأس من الناس أبدًا، وعليه أن لا يهتم بكثرة الأتباع، فإن نوحًا عليه السلام لبث في قومه ألف سنةٍ إلا خمسين عامًا فما آمن معه إلا قليل، وقد يستعظمُ بعضُ الناسِ هذا الجهدَ المتواصلَ الذي بذله نوحٌ عليه السلام، ويتقالُّ هذه النتيجة. جهدُ ألفِ سنةٍ، ومحصلتُه، ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]؟! ولكنا نقول: إن إيمان واحدٍ فقط أعظمُ من جُهد ألف سنة.

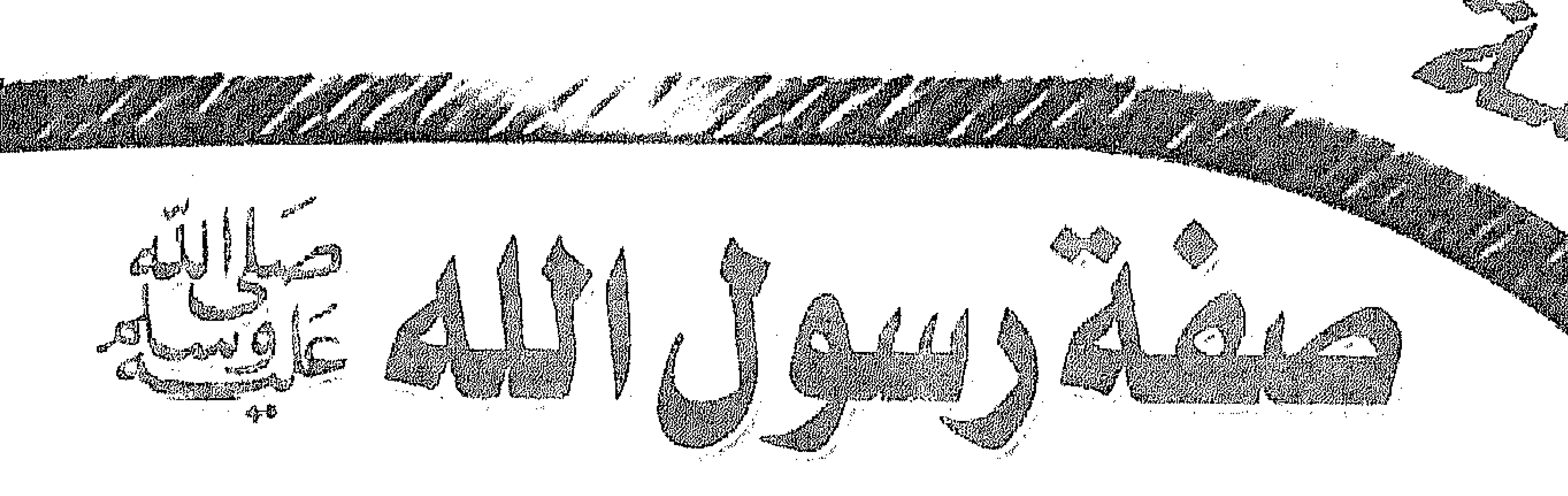
﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾.

هذه الآيات تعلّمُ الدعاةَ أساليب الدعوة، وأنّ على الداعية أنْ يستخدم في الدعوة الأسلوبَ المناسب، فيستخدم الترغيب تارة، والترهيب تارة أخرى، ثم يرشدهم إلى آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق.

فقولُ نوحٍ عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ أي كثير المغفرة لمن استغفره، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]، وفي الحديث عن النبي ﷺ عن ربّه أنه قال: «يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغتْ ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرتُ لك، يا ابن آدم لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشركُ بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة». [الترمذي: ٣٦٠٨]. هذا آجلُ ثواب الاستغفار، وأما عاجلُه فـ: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ أي متواصلة الأمطار، فالأمطارُ تحبسها الذنوب، وترسلها التوبة. ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ أي: «إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع، وأدرّ لكم الضرع، وأمدّكم بأموال وبنين، أي أعطاكم الأموالَ والأولاد، وجعل لكم جناتٍ فيها أنواعُ الثمار، وخللها بالأنهار الجارية بينها». اهـ من ابن كثير.

والربط بين الإيمان بالله وتقواه ومنة الاستغفار وبين سعة الرزق قد ذُكر في القرآن الكريم في أكثر من موضع، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٥، ٦٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

ولذا كان الأنبياء يأمرون أقوامهم بالاستغفار، كما أمر به نوحٌ قومه، قال تعالى عن هود عليه السلام: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢]، وقال عن نبينا محمد ﷺ: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٢) وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾. هذا أسلوب الترغيب. وأما أسلوب الترهيب فيأتي في العدد القادم إن شاء الله تعالى.



الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ورحمة الله للعالمين وآله وصحبه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: أجَلْ، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾، وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظٍ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله ويفتح بها أعينًا عميا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا.

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في موضعين أولهما في كتاب البيوع باب «كراهية السَّخب في الأسواق» برقم (٢١٢٥)، وثانيهما في كتاب التفسير باب: «إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا» برقم (٤٨٣٨) كما أخرجه أيضًا في الأدب المفرد، وأخرجه الإمام أحمد في المسند ١٧٤/٢، برقم (٦٦٢٢).

راوي الحديث

هو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سُعيد بن سعد بن سهم.

قال الإمام الذهبي: الإمام الحبر العابد صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه، أبو محمد، وقيل أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو نصر القرشي السهمي، وأمه هي رائطة بنت الحجاج بن منبه السهمية، وليس أبوه أكبر منه إلا بإحدى عشرة سنة أو نحوها. ثم قال: وقد أسلم قبل أبيه فيما بلغنا، ويقال: كان اسمه العاص، فلما أسلم غيره النبي بعبد الله.

وله مناقب وفضائل ومقام راسخ في العلم والعمل، حمل عن النبي ﷺ علمًا جمًا يبلغ ما أسند سبعمائة حديث، اتفق له الشيخان على سبعة وانفرد البخاري بثمانية ومسلم بعشرين، وقد روي أيضًا عن أبي بكر وعمر ومعاذ، وسراقة بن مالك وأبيه عمرو وعبد الرحمن بن عوف وأبي الدرداء وطائفة، وعن أهل الكتاب، وأدمن النظر في كتبهم، واعتنى بذلك.

روى أحمد بإسناد منقطع عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نِعْم أَهْلُ البيت عبد الله وأبو عبد الله وأم عبد الله». ورُوي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال: جمعت القرآن فقرأته في ليلة، فقال رسول

في التوراة

إعداد
زكريا حسيني

الله ﷺ: «اقرأه في شهر». قلت: يا رسول الله، دعني أستمتع من قوتي وشبابي، قال: «اقرأه في عشرين». قلت: دعني أستمتع، اقرأه في سبع ليالٍ»، قلت: دعني أستمتع. قال: فأبى. [رواه النسائي، وأصله في الصحيحين]

قال الذهبي: وصح أن رسول الله ﷺ تنزل معه إلى ثلاث ليالٍ، ونهاه أن يقرأه في أقل من ثلاث. أخرجه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح.

ثم قال الذهبي: هذا السيد العابد الصاحب كان يقول لمّا شاخ (أي كبرتْ سنه): ليتني قبلت رخصته ﷺ، وكذلك قال له عليه السلام في الصوم، ومازال يناقصه حتى قال له: «صُمْ يومًا وأفطر يومًا، صوم أخي داود عليه السلام». وأخرج البخاري في صحيحه بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: لم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ أكثر حديثًا مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب. وكانت له صحيفة كتبها عن رسول الله ﷺ كان يسميها: الصادقة.

شرح الحديث

أولاً: المفردات:

أجل: حرف جواب كَنَعَمْ

شاهدًا: الذي يؤدي الشهادة أي شهد لأمته أو يشهد على الأمم السابقة، والشاهد: الدليل.

مبشرًا: المُبشِّرُ الذي يعد بالثواب وبالخير المفرح.

نذيرًا: أي منذرًا ومعلمًا ومحذرًا الناس عذاب الله ومخوفهم إياه.

حرزًا: الحرز الحصن أو المكان المنيع يُلجأ إليه.

الأميين: أي العرب.

فظ: الفظ: الجافي المسيء، أو سيئ الخلق.

غليظ: الغليظ القاسي.

سخاب: السَّخَبُ والصَّخَبُ: الضجة واضطراب الأصوات للخصام.

يدفع بالسيئة السيئة: لا يعامل المسيء بإساءته بل يحسن إليه.

يعفو ويغفر: العفو عدم المؤاخذة على الذنب، والمغفرة ستر الذنوب ومحوها.

الملة العوجاء: أي ملة الكفر والشرك.

أعينا عميا: أي الأعين التي عميت من تشربها للباطل والكفر والشرك.

آذانًا صمًا: أي التي درجت على سماع الباطل واللغو واللهو.

قلوبًا غلفًا: أي التي لا تعقل الحق ولا تأخذ به.

ثانيا: معنى الحديث:

لقد كان الصحابة والتابعون حريصين على معرفة وصف رسول الله ﷺ في الكتب السابقة بعد معرفتهم لصفته صلوات الله وسلامه عليه في القرآن الكريم، وذلك مما يزيد في إيمانهم وحبهم لنبيهم ﷺ ولإقامة الحجة على أهل الكتاب الذين بشرت كتبهم نبي الإسلام نبي آخر الزمان، فكانوا يسألون من كان عنده علم من الكتب السابقة عما نيط من بشارة رسول الله ﷺ أو وصف له، ومن ذلك سؤال عطاء بن يسار رحمة الله عليه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وذلك أن عبد الله بن عمرو كان يقرأ التوراة، فأخبره أن رسول الله ﷺ موصوف في التوراة ببعض ما وصف به في القرآن، ولقد وصف ﷺ في القرآن بأوصاف كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ

أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي جاء بها وصف رسول الله ﷺ، أما في التوراة فقد جاء في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهم وصفه بأنه شاهد يشهد لأمته ويشفع لهم أو شاهد على الأمم السابقة أن رسلهم قد بلغوهم، ومبشرًا للمؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيرًا وجنة عرضها السماوات والأرض، ونذيرًا للكافرين بأن لهم عذابًا أليمًا وعذابًا عظيمًا وعذابًا مهينًا خالدين فيه أبدًا، وأنه حرز أي حصن للعرب، وأمان لهم من العذاب في الآخرة والخسف في الدنيا، ثم قال الله عز وجل له: أنت «عبدي ورسولي»، وبهذين الوصفين وصف في القرآن الكريم، فقد وصف بالعبودية في أشرف المقامات كالإسراء وإنزال الكتاب عليهم وما ناداه الله تعالى إلا بوصف النبوة أو الرسالة على خلاف ما جاء من نداء غيره من الرسل، فكلٌّ قد نودي باسمه، وسماه الله تعالى المتوكل أي الذي حقق صفة التوكل على الله عز وجل على حقيقتها، ثم نفى عنه الفظاظة والغلظة وهذا يستلزم أنه رءوف رحيم، حتى بغير المسلمين، فقد كان حريصًا على دخول الناس في الإسلام من أجل نجاتهم من النار وفوزهم بالجنة، كما نفى عنه الصخب في الأسواق، ونفي الصخب لا ينفي دخول السوق ولا الاتجار بها ولكن المقصود الصخب الذي فيه اختلاف ومنازعات وكذب وتزوير وغش وترويج للسلع بالحلف الكاذب، ثم وصف ﷺ بأنه لا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يدفعها بالحسنة كما أمره ربه تبارك وتعالى، وقد أوصى ﷺ أمته كما جاء في الحديث: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها...»، وإنما سيماه العفو والصفح أو العفو والمغفرة، ولقد كان ﷺ لا يعاقب على السيئة ولكن يعفو ويصفح، ولا سيما ما كان في حقه، وما غضب لنفسه ولا انتقم قط إلا أن تنتهك حرمات الله عز وجل فإنه حينئذ لا يقوم لغضبه شيء كما وصفته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. ثم قال في حديثه كما جاء في التوراة: ولن يقبضه الله حتى يقيم الملة العوجاء، والملة العوجاء هي ملة الكفر والشرك والجاهلية، فيها عبادة غير الله تعالى وتوجه إلى الأصنام والأوثان استغاثة واستعاذة وتوكلاً ودعاء وتوسلاً وتبتلاً، إلى غير ذلك، وإقامتها تقويمها حتى يصل إلى الطريق القويم والصراط المستقيم، والهداية إلى دين الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده، ولقد فُسِّر إقامة الملة العوجاء بقول: لا إله إلا الله، وهي كلمة التوحيد، وعهد الإخلاص وميثاق الإيمان بوحدانية الله تبارك وتعالى فإذا قال الناس: لا إله إلا الله فقد وحدوا الله تعالى فانفتحت أعينهم على الحق وكذلك الأعين والقلوب، فلا ترى إلا الحق ولا تسمع غير الحق، ولا تعقل سوى الحق، فتحيى لله وبالله متوكلة على الله.

هذا، ولقد جاء هذا الحديث عن عبد الله بن سلام أيضًا يرويه عنه عطاء بن يسار أخرجه الدارمي في سننه في المقدمة في باب صفة النبي ﷺ في الكتب قبل مبعثه، وقال عقبه: قال عطاء بن يسار: وأخبرني أبو واقد الليثي أنه سمع كعبًا يقول مثل ما قال ابن سلام .وأخرج الدارمي أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سأل كعب الأحبار: كيف تجد نعت رسول الله ﷺ في التوراة؟ فقال كعب: نجده محمد ابن عبد الله، يولد بمكة، ويهاجر إلى طابة، ويكون ملكه بالشام، وليس بفحاش ولا صخاب في الأسواق، ولا يكافئ بالسيئة السيئة، لكن يعفو ويغفر، أمته الحمادون، يحمدون الله في كل سراء وضراء، ويكبرون الله على كل نجد، يوضئون أطرافهم ويأتزرون في أوساطهم، يَصُفُّون في صلواتهم كما يَصُفُّون في قتالهم، دويهم في مساجدهم كدوي النحل، يسمع مناديهم في جو السماء، ثم إن الدارمي ساق روايتين أخريين عن كعب تختلف ألفاظهما عن ذلك اختلافًا يسيرًا، وهي متقاربة المعنى، لكننا نجد في روايات كعب الثلاث وصف أمة محمد ﷺ بعد وصفه، فلقد جاء وصفهم أنهم

حمادون أي كثيرو الحمد لله رب العالمين، فهم يحمدون الله على السراء والضراء ويحمدونه في كل منزلة، إن أصابتهم سراءُ شكروا الله فحمدوه، وإن أصابتهم ضراء صبروا على أقدار الله فحمدوه، بل إنهم يحمدون الله تعالى في صلواتهم فمن صلى الفرائض حمد الله في كل ركعة من صلواته فحمد الله سبع عشرة مرة، فإذا حافظ على ثنتي عشرة ركعة وثلاث الوتر فهذه خمس عشرة تحميدة تضاف إلى سبع عشرة فيكون العدد اثنتين وثلاثين تحميدة، فإذا حمدوا الله دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين فهذه خمس وستون ومائة تحميدة تضاف إلى ثنتين وثلاثين لتصبح سبعا وتسعين ومائة تحميدة في اليوم، هذه المرتّبة بخلاف الطارئة في السراء والضراء، فلذلك استحقت الأمة هذا الوصف أنهم الحمادون، ويكبرون الله تعالى على كل نجد أو على كل شرف أي على كل مرتفع، وذلك جاء في السنة أنهم كانوا إذا علَوا شرفًا كبروا وإذا نزلوا واديًا سبحوا، ثم وصفوا بوصف آخر وهو أنهم يوضئون أطرافهم، والوضوء للأطراف للوجه واليدين والرأس والرجلين، ويأتزرون في أوساطهم، وهذا من الستر أي يسترون أوساطهم أو أنصافهم كما جاء في رواية أخرى لكعب الأحبار، ثم وصفوا بوصف آخر وهو أنهم يَصُفُّون في صلواتهم كما يصفون في قتالهم، أما صف الصلاة فيطلب منهم تسوية الصفوف، ولقد ورد أن رسول الله ﷺ ما كان يدخل في الصلاة إلا بعد أن يتأكد من تسوية الصفوف خلفه، وأما صف القتال، فقد قال الله تعالى في سورة سماها سورة الصف لذكر صف القتال فيها قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف:٤]، ولقد جمع الله لهم بين الشدة في القتال وبين الصلاة في القرآن الكريم، كما بين أن ذلك وصفهم في التوراة والإنجيل، حيث قال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح:٢٩].

ثم جاء الوصف بعد ذلك بأنهم لهم دوي في مساجدهم بذكر الله تعالى وقراءة القرآن مثل دوي النحل، ووصفوا أخيرًا بأن لهم مناديًا ينادي بالصلاة، وهذا جاء في التوراة، توراة موسى عليه الصلام والسلام، ومعلوم أن اليهود كان لهم بوق يعلنون به عن صلاتهم، وبعدهم النصارى فلهم جرس ينادون به لصلاتهم، وأما هذه الأمة لهم مؤذن ينادي بالصلاة، وصوته يسمع في جو السماء.

ثالثًا: من فوائد الحديث:

١- أن رسولنا محمدًا ﷺ رسول الله حقًا، وأن ذلك ثابت بالكتب السابقة.

٢- أن الله عز وجل أخبر عن وصف رسوله محمد ﷺ في التوراة والإنجيل.

٣- أن القرآن حق من عند الله، وأنه جاء مصدقًا لما بين يديه من الكتب السابقة ومهيمنًا عليها.

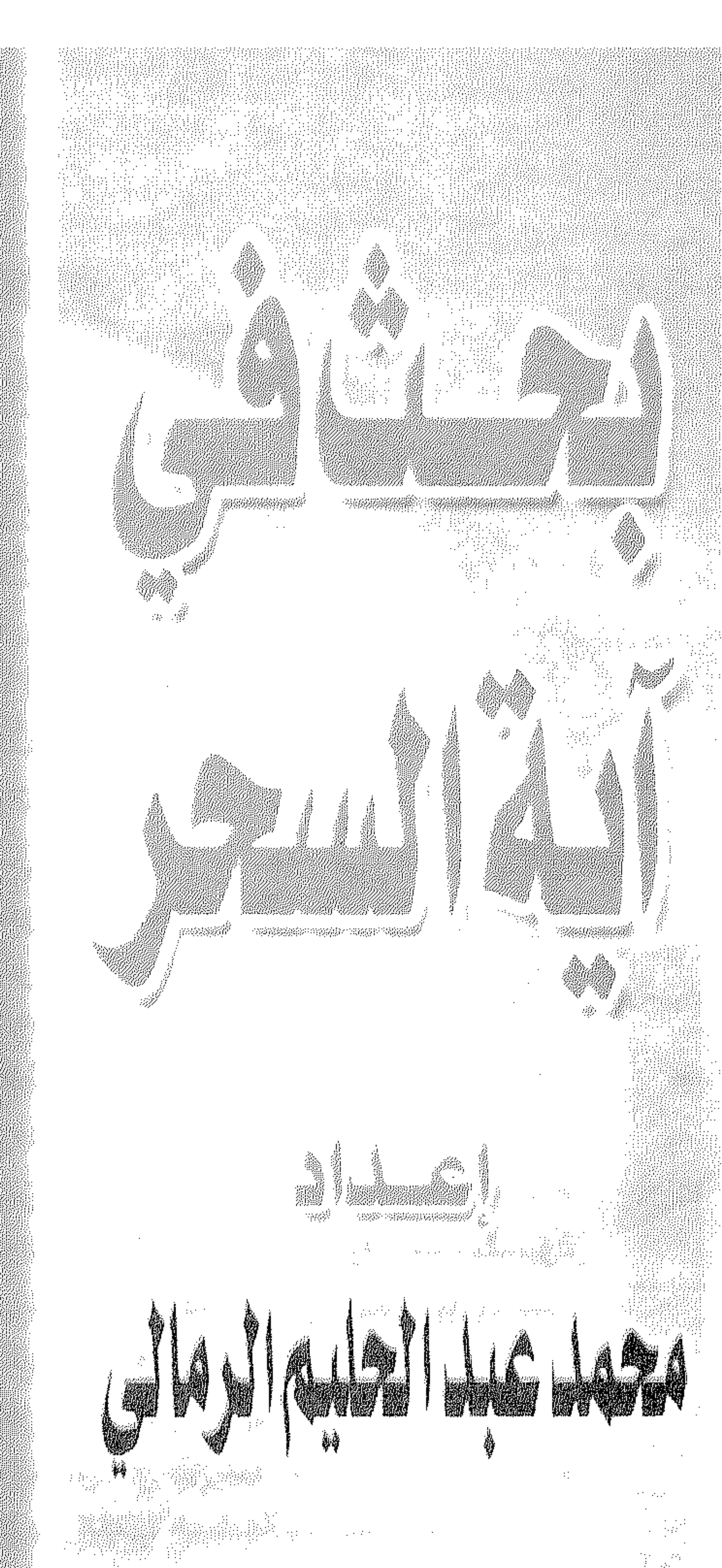
٤- أن أحبار اليهود وعلماء النصارى محجوجون بكتبهم التي جاء النص فيها على نبوة محمد ﷺ وأنه يجب عليهم أن يؤمنوا به ويتبعوه.

٥- أن أحبار اليهود وعلماء النصارى يعرفون أن محمدًا حق، وأن القرآن حق، وأن الإسلام حق، كما يعرفون أبناءهم، وأنهم يكتمون حقًا هم يعلمونه.

٦- أن هذه الأمة- أمة محمد ﷺ- خير أمة أُخرجت للناس، وأنهم موصوفون بأعز الأوصاف وأحسنها في الكتب السابقة، فمن انتقصها حقها من الأمم السابقة فقد كذبوا رسلهم ووحي الله تعالى إليهم.

نسأل الله تعالى أن يهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه، إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.



إن حياة الإنسان وتاريخه قديمًا وحديثًا مفعم بالمظاهر الروحية ومشاهدها وآثارها، وأساطيره وأحاديثه ومشاهداته في ذلك مستفيضة في كل زمان ومكان، وفي كل طبقات البشر، وبيئاتهم من الخواص والعوام إلى الآن، وتلك الآثار والمشاهدات على أنواع مختلفة، فمنها ما كان معجزات للأنبياء، ومنها ما يعد كرامات للأصفياء والأولياء، ومنها ما هو خوارق سحرية، ومنها رؤى ومشاهدات روحية، ومنها خواص مختلفة على أنواع كثيرة تظهر في بعض أفراد البشر على غير سنة طبيعية بعضها تصرُّف في نواميس الطبيعة، وبعضها مكاشفات غيبية.

تاريخ البشر مملوء في باب المشاهدات وفي باب العلوم والفلسفات، ومن هذه المشاهدات المستفيضة ما وعاه التاريخ وضبطه في سجلاته، ومنها ما هو قبل التاريخ فتلقاه حكاية عن الأساطير. ولقد جنحت الفلسفة الإفرنجية على مدى القرنين السابقين إلى جحود ذلك وإنكاره بتاتًا فعدت الاشتغال به ضربًا من الشعوذة والخداع أو الخيال والأوهام، ثم مالت أخيرًا إلى درسه وتمحيصه على أسلوب علمي منطقي محرر دقيق، فاشتغل بذلك وتخصص فيه رجال من أقطاب العلم وأعلام الفلسفة ودرسوه على أسلوب التجربة والامتحان والمشاهدة؛ أسلوب ملؤه الحصافة والرزانة والاحتراس والحذر من كل خداع واستهواء، وقد بدأوا هذه الأبحاث والتجارب التي سموها باسم الفلسفة الروحية منذ أول النصف الأخير من القرن التاسع عشر إلى اليوم، فها هم قد قاربوا أن يقطعوا قرنًا من الزمان في هذه الأبحاث؛ فما هي النتيجة التي تؤدي إليها هذه الفلسفة؟

هذه الفلسفة باعتبارها علمًا باحثًا تجد فيه اليقيني والظني والافتراضي كشأن جميع العلوم، ومن اليقيني الذي أثبتته إلى درجة تقارب البداهة أن في الوجود عنصرًا روحيًا غير العنصر المادي، وكما أن الله بث في العالم المادي قُوًى كذلك بث سبحانه في العالم الروحي قوى، غير أن قوى العالم الروحي أشد وأقوى من قوى العالم المادي، بحيث تستطيع قوى الأول أن تتصرف في قوى العالم الثاني وتتحكم فيه حبسًا وإطلاقًا وتقييدًا وتحويلاً شأن القوي مع الضعيف.

هذان رجلان قويان يصطرعان في كل منهما قوة وأحدهما أقوى من الآخر لابد أن يغلب أقواهما صاحبه ويعطل قوته بل ويعبث به هاهنا وهاهنا، يحبس قوته تارة ويعطلها أخرى، وهذا هو سر الخوارق الطبيعية التي تشاهد على اختلاف أنواعها.

وإذا كنا نرى قوى الطبيعة يتحكم بعضها في بعض ويبطل بعضها بعضًا: هذه جمرة متأججة وهذا ماء يصب عليها أليس يطفئها ويبطلها؟ هذه قوة كهربائية صاعقة وهذه مادة خشبية أليست تعزلها؟ وهذه صاعقة تنقض من السماء وهذا جهاز مانعة الصواعق أليس يزيغها ويصرفها؟ فما بالك إذن بقوة الروح إزاء قوة الطبيعة ونواميسها؟. انتهى ما اقتبسناه من رسالة الإسراء والمعراج.

وتتميمًا لذلك نقول: إن العالم الروحي الخفي الباطن في هذا الوجود نوعان فليعبر عنهما بالعلوي والسفلي أو الملكي والشيطاني، فأما الأول فهو عالم القدس والطهارة ومعين الحق والحقيقة، خير كله وحق كله، ولا يوحى إلا بالخير ولا يتصل بنا إلا من هذه الناحية، وأما العالم الثاني فهو عالم الشياطين والمردة من الجِنة، وهو ينبوع الشر ومعدن الفساد، ولا يتصل

بالناس إلا من هذه الناحية، والعالم البشري فيه استعداد بجبلته إلى الاتصال بكل من العالمين، وسبيل اتصاله بالأول إنما هو طهارة الروح ونقاؤها بحب الله والإسلام له والنزوع إلى التعلق به والتقرب إليه بكل عمل صالح يحبه، فإذا كان شديد الصلة بالله متعلقًا به حبًا وعبادة وتوكلاً واعتمادًا وثقة جانست طبيعته هذا العالم الطاهر فنفث فيها خواطر الهداية وألهمها الحقائق وأوحى إليها من طريق الإلهام بالسداد في كل ما تصبو إليه من خير ينفعها أو تنفع به الإنسانية، وقد ظهر من هذا أن التماس الأغراض والمقاصد من الاتصال بهذا العالم إنما هو متمحض في الخير فحسب؛ أما الأغراض السافلة والمقاصد الخبيثة والنزعات الشريرة فلا تلتمس إلا من الاتصال بالعالم الشيطاني الشرير، وليس إلى ذلك من سبيل إلا أن يتقرب إليه بما يحبه من المحرمات والمعاصي بل والكفريات، فإذا ارتكس الإنسان إلى هذه الدركة استجاب له ذلك العالم وأعانه على ما يبتغي من هذه الشرور.

وقد ظهر من هذا البيان معنى كون السحر كفرًا؛ لأنه مبني على تسخير العالم الشيطاني في الأغراض الشريرة، ولا سبيل إلى ذلك إلا بعبادة الشياطين والتقرب إليهم بالمنكرات والكفريات، ولا تغتر بما يذكر في تعاويذ الدجاجلة وطلمساتهم من الآيات القرآنية أو أسماء الله الحسنى، فإنما ذلك أوردوه للخديعة واصطياد المغفلين كيلا يستوحشوا من افترائهم هذا المنكر.

أما آثار السحر فقد اختلف فيها: فمن الناس من يراها شعبذة أي مغالطة وخفة يد، ومنهم من يراها خيالاً، ومنهم من يراها حقائق، والصواب أن النوع الأول ليس من باب السحر، وإنما هو من باب الصناعة والمهارة، وأما السحر على حقيقته فهو يشمل النوعين الأخيرين، فإن السحر الذي يقع بقوة روحية إما أن يؤثر في قوة البصر الطبيعية فيريها من الخيال ما ليست له حقيقة واقعة، وهذا إبطال لقوتها الطبيعية التي من شأنها أن تميز بين الموجود الماثل أمامها، والمعدوم الذي ليس بواقع ولا حقيقة- وإما أن تؤثر هذه القوة الروحية في قوى الأشياء وخواصها، وقد جرب الناس وعرفوا حبس الرجل عن زوجه وبغضه إياها حتى ربما طلقها وهي أحب الناس إليه، وقد ذكر العلامة ابن خلدون في مقدمته أشياء كثيرة.

ومن التاثير الروحي الذي يصيب الإنسان ما تعارفه الناس من آثار العائن الذي يصيب الناس بالمكروه في أنفسهم وأموالهم، وقد جربناه كما جَرَّبَ الناس من ذلك شئونًا كثيرة، وهذا تصديق قول رسول الله ﷺ في حديث البخاري «العين حق».

ولا يدفع هذه الحقائق إنكار الجامدين على المادية المتنطعين فيها، فإن التجربة والمشاهدات قديمًا وحديثًا- وأحاديثها تترى في الناس- تكذبهم أشد تكذيب، وإنما هي مجاحدة وعناد ورطهم فيها انطباع عقليتهم على الجمود المادي.

ولعلك بعد هذا البيان قد سهل عليك فهم ما أشكل من هذه الآيات وسنسوقها إليك مشروحة:

قلنا: إن هذه الآيات متصلة بما قبلها من سرد مخازي اليهود ومعايبهم، وهذه مخزاة من مخازيهم تلك، وبخهم الله عليها.

فلقد ردّ اليهود دلالة البشارات ببعثة النبي محمد ﷺ وتعاموا عنها، وانصرفوا عن النصح لكتاب الله والاهتداء به، وخانوا عهود الله التي عهد إليهم، وزهدوا في هداية الوحي واستهانوا بها، فأعرضوا عنها، ونزعوا إلى العبث والاشتغال بالدجل الذي جعلوه شباكًا لصيد طغام الدنيا وتضليل أممهم، ولا يواتيهم في ذلك أشد وأعظم في استهواء العامة من السحر، فاتبعوا ما تتلو الشياطين وما دونوه على ملك سليمان أي على عهده؛ وفي الزمن الذي كان فيه سليمان ملكًا.

ولما كان رواج هذا الدجل الشيطاني واحترافه شائعًا على عهد سليمان؛ وكان ذلك مظنة تصديق ما اتهم به هذا النبي الكريم بأن ذلك كان من عمله، ومن أسبابه التي توسل بها إلى حفظ ملكه، والسيطرة على الشياطين وتسخيرهم، وأنها عثر عليها مدفونة تحت

كرسي ملكه، برأ الله تعالى نبيه من تلك التهمة التي رماه بها أهل الكتاب فقال: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾، فهذه الجملة معترضة في سياق الكلام لهذا الغرض، ثم رجع إلى أصل السياق في التشنيع على اليهود، فقال عنهم: ﴿ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾.

وهذه الجملة الأخيرة وهي قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى ﴾ إلخ، مثار إشكال دفع الناس إلى الانصراف عن ظاهرها متأولين معناها طرائق قددًا، فمنهم من يتأولها على معنى النفي فيجعل «ما» أداة نفي، ولكن يبقى بعد ذلك أن يقال: ما وجه اتصال الحديث عن الملكين بأصل السياق؟ وإذًا يبقى الحديث عنهما في صلب الآية أجنبيًا لم تسوغ اجتلابه آية مناسبة، ومنهم من يلتمس التأويل في معنى الملكين فلا يراهما من عالم الملائكة بل يراهما رجلين صالحين بلغا من مقامات التهذيب ما يلحقهما بعالم الملائكة، معتضدًا في ذلك بالقراءة الشاذة التي تكسر اللام من «الملكين» ولكن يبقى السؤال السابق مضافًا إليه ضياع قراءة الجمهور بلا معنى، إذ لا قرينة حالية ولا لفظية تنص على هذا التجوز، كما هو قانون الأداء العربي.

ومنهم من لا يرى في الملكين عصمة ولا تُقى؛ بل يعتبرهما دجالين مخادعين. وأن قولهما لمن يعلمانه السحر: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ ﴾ إنما هو نفاق وتضليل يتظاهران النصيحة فيقولان: «لا تكفر» أي لا تستعمله في ضرر الناس تظاهرًا- بسيما أهل الخير والصلاح، ويصرفان معنى الإنزال في قوله: ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ ﴾ باعتبار الجملة إيجابية غير منفية: يصرفان معنى الإنزال فيها عن الوحي إلى الإلهام، والإلهام يتسع معناه للخير والشر.

ونحن نرى أنه لا داعي لصرف الآية عن ظاهرها، والتورط في هذه الموالج ومعاناتها معاناة تكلفية تأباها بلاغة القرآن وحسن أدائه، وأي أداء يحتاج فهمه إلى مثل هذه التعسفات جدير أن ينحط إلى دركة أقل من بيان العوام وأدائهم؛ ومن ذا الذي يفطن إلى مثل هذا ويرضاه مذهبًا في القرآن وفهمه؟

ومعنى الآية فيما نذهب إليه: أن الله أنزل ملكين من الملائكة إلى الأرض في مدينة بابل عاصمة مملكة الكلدانيين، وكانوا قد فشت فيهم ديانة الصابئين عباد الكواكب؛ نشأت فيهم من ولوعهم بعلوم النجوم والفلكيات؛ فتدرجوا من البحث العلمي إلى أوهام وخيالات روحانية تخيلوها في طبائع الكواكب، وتمادوا في ذلك حتى تكونت فيهم علوم التنجيم المعروفة، ومنها اشتقت الأفكار السحرية والاشتغال بها على نحو ما نعهده اليوم من أوهام دجاجلة المنجمين وطرائقهم- فأنزل الله هذين الملكين ليدرسا للناس هذه المنازع النجومية السحرية ويعرفاهم حقيقتها ومضارها، ويعلنا للناس أن التماس حاجات الإنسان من طريقها ليس سبيلاً طبيعيًا، بل إن الله قد سخر في الكون قوى ونواميس أخرى مادية ومعنوية لتواتيهم بحاجاتهم من منافع الكون، وأما هذه السبل التي نزعوا إليها فلا تستقيم لهم؛ ولا يصلح أمرهم عليها، لأن الله لم يجعلها سبيلاً إلى ذلك، وما يحدث على أيدي ممارسيها من الخوارق لا يطرد أمره، ولا ينتهي بنتيجة نفعية كما قال تعالى في تقرير هذه الحقيقة: ﴿ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ وحيث إن هذين الملكين أمينان حريصان على خير الناس وهدايتهم لم يهملا شأن النصيحة لمن يعلمانه فيقولان له: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ ﴾ ليهلك من هلك عن بينية ويحيى من حي عن بينة، هذا رأينا في فهم هذه الآية.

وقد يقال: ما بال هذين الملكين يُختاران لهذا الأمر، وقد كان في الإمكان أن يصطفي الله له من البشر من يشاء كما جرت سنته في أئمة البشر من النبيين والمرسلين؟

وجوابنا على ذلك: أننا لا ندري من شئون الكون وملابساته ما يصحح هذا السؤال، وإنما الأمر كما قال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٧٥) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾.

---

(١) هذا العالم من أوائل من تكلم في عقيدة التوحيد بمصر وهو من مدينة دمياط، وقد نشرت له ترجمة بمجلة التوحيد. [فتحي عثمان]



إن الله تعالى رعى هذه اللغة بلطيف عنايته، وكرمها من بين سائر اللغات فهيأها لتكون وعاءً لدينه الحنيف فشرّفها بذلك، وقد تميزت هذه اللغة الخالدة بمزايا انفردت بها وحدها، ومع ذلك فلقد أضحت قضية إهمالنا للغتنا العربية من أهم فصول مآسينا المتكررة، ولعل هذا الإهمال هو أهم سبب في جراءة المبطلين من ممسوخي الهوية أصحاب الحملة الخبيثة على هذه اللغة، ولقد أضحى هذا الإهمال مظهرًا من مظاهر أزمة الهوية التي تتعرض للصراع بمحاورها الثلاثة: العقيدة الإسلامية واللغة العربية والتاريخ الإسلامي، فهل تفرط الأمة في هذه العروة التي تتجلى فيها بقايا هويتها لتنقض هي الأخرى وتنضم إلى نسيج عُرى الهوية المتهالك؟!

والحقيقة أن قضية التفريط في لغتنا الحبيبة، ليست قضية لغة تشغل اللغويين، وإنما يجب أن تكون قضية كل من انتسب إلى الإسلام، يرى في ضياع لغته ضياع ثقافته وذوبان هويته.

واللغة العربية ليست مجرد لغة قومية، ولكنها لغة الدين التي يجتمع حولها المسلمون عربهم وعجمهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (اللغة العربية من الدين، ومعرفتُها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يُفهمان إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)، وقال رحمه الله: (... لأن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون).

لقد نشأ في الإسلام من لم يستشعر بعد أن في إسلامه عزًا أو في قرآنه فضلاً، وإنما الأمر عنده مجرد طقوس وشعائر تُمارس من غير فهم، وما هذا إلا لهجرهم لغة القرآن والدين.

قال ابن القيم رحمه الله: «وإنما يعرفُ فضل القرآن؛ مَن عرف كلام العرب»، إلى أن قال رحمه الله: ولذلك يقع في النفوس عند تلاوته وسماعه من الروعة يملأ القلوب هيبة، والنفوس خشية، وتستلذه الأسماع، وتميل إليه بالحنين الطباع، سواء كانت فاهمة لمعانيه أو غير فاهمة، عالمة بما يحتويه أو غير عالمة، كافرة بما جاء به أو مؤمنة.

[الفوائد لابن القيم]

وقال الشافعي رحمه الله: فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، وما ازداد من العلم باللسان، الذي جعله اللهُ لسان من ختم به نبوته، وأنزل به آخر كتبه، كان خيرًا له، كما عليه أن يتعلم الصلاة والذكر فيها، ويأتي البيت، وما أُمر بإتيانه، ويتوجه لما وُجه له، ويكون تبعًا فيما افترض عليه وندب إليه، لا متبوعًا. [الرسالة للشافعي ص٤١]

قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله مُعلقًا: «في هذا معنى سياسيّ وقومي جليل؛ لأن الأمة التي نزل بلسانها الكتابُ الكريم، يجب عليها أن تعمل على نشر دينها، ونشر لسانها، ونشر عاداتها وآدابها بين الأمم الأخرى، وهي تدعوها إلى ما جاء به نبيها من الهدى ودين الحق، لتجعل من هذه الأمم الإسلامية أمة واحدة، دينها: واحد، وقبلتها: واحدة، ولغتها: واحدة، ومقومات شخصيتها: واحدة، ولتكون أمة وسطًا، ويكونوا شهداء على الناس، فمن أراد أن يدخل في هذه العصبية الإسلامية: فعليه أن يعتقد دينها، ويتبع شريعتها، ويهتدي بهديها، ويتعلم لغتها، ويكون في ذلك كله كما قال الشافعي رضي الله عنه: تابعًا لا متبوعًا. [الرسالة: ص٤٩]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «لابد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدلّ على مراد الله ورسوله من الألفاظ، وكيف يُفهم كلامه، فمعرفة العربية التي خُوطبنا بها: مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك معرفةُ دلالة الألفاظ على المعاني، فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب، فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدَّعون أنه دالٌّ عليه، ولا يكون الأمرُ كذلك».

[الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية ص١١١]

وكلما كانت معرفة المسلم بألفاظ الكتاب والسنة تامةً، كان فهمه لمراد الكتاب والسنة تامًا، وإلا كان فيه من الزيغ عن الكتاب والسنة بقدر ما صرف ألفاظهما إليه من عادته واصطلاحه.

«ومَنْ لم يعرف لغة الصحابة التي كانوا يتخاطبون بها، ويخاطبهم بها النبي ﷺ، وعادتهم في الكلام، حرف الكلم عن مواضعه. فإن كثيرًا من الناس: ينشأ على اصطلاح قومه وعادتهم في الألفاظ، ثم يجد تلك الألفاظ في كلام الله أو رسوله أو الصحابة، فيظن: أن مراد الله أو رسوله أو الصحابة بتلك الألفاظ ما يريده بذلك أهلُ عادته واصطلاحه، ويكون مراد اللهِ ورسوله والصحابة خلاف ذلك». [مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١/٢٤٣]

وأساليب طمس الهوية الإسلامية كثيرة لعل أهمها تكدير منابع تلك الهوية، فكانت ولا تزال الحرب على اللغة العربية لارتباطها بالقرآن والإسلام، ولأثرها في وحدة الأمة المسلمة.

ولنا أن نتأمل حال بعض الأمم التي أصيبت بتذويب هويتها، لكنها نهضت عندما عادت واعتزت بلغتها ومن ذلك:

أولا: «أيرلندا» التي رزحت تحت الاحتلال الإنكليزي منذ أوائل القرن الثاني عشر الميلادي، وذاقت منه الويلات خصوصًا على يد «كروميل» الذي أعمل السيف في رقاب الأيرلنديين، وشحن عشرين ألفًا من شبابهم وباعهم عبيدًا في «أمريكا» ونفى أربعين ألفًا خارج البلاد، وتمكن من طمس هويتهم بمحو لغتهم الأيرلندية، وتذويبهم في المجتمع البريطاني، ولما حاول بعض الأيرلنديين الوطنيين بعث أمتهم من جديد أدركوا أن هذا لا يتم ما دامت لغتهم هي «الإنكليزية»، وما دام شعبهم يجهل لغته التي تميز هويته، وتحقق وحدته.

وقدر الله عز وجل لهم معلمًا يتقن لغة الآباء والأجداد؛ دفعه شعوره بواجبه إلى وضع الكتب التي تقرب اللغة الأيرلندية إلى مواطنيه، فهبوا يساعدونه في مهمته حتى انبعثت من رقادها، وشاعت، وصارت «النواة» التي تجمع حولها الشعب، فنال استقلاله واستعاد هويته، وكافأ الشعب ذلك المعلم بانتخابه أول رئيس لجمهورية «أيرلندا» المستقلة هو الرئيس «ديفاليرا».

ثانيا: «ألمانيا» التي كانت مقاطعات متفرقة متنابذة، إلى أن هبَّ «هَرْدر» الأديب الألماني الشهير في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ينادي بأن «اللغة» هي الأساس الذي يوحِّد الشعوب، والنواة التي تؤلف بينها، فانطلق الأدباء يعكفون على تراثهم القديم أيام كانوا أمة واحدة، وقاموا بإنعاش تراثهم الأدبي، ونسجوا حوله قصصًا وبطولات خلبت الباب الشباب، وتغنوا بجمال بلادهم، وأمجاد أسلافهم، فتجمعت عواطفهم على حب الوطن الكبير، وتطلعت نفوسهم إلى الانضواء تحت لواء «هوية ألمانية» واحدة، الأمر الذي مهد الطريق أمام «بسمارك» لتعبئة الشعور القومي، وتوحيد ألمانيا، وإقامة الإمبراطورية الألمانية التي كان «بسمارك» أول رئيس وزارة (مستشار) لها.

إذا علمت هذا فاسمع وتعجب من كلام المستشرق الألماني «كاممفاير» وهو يقول في شماتة:

«إن تركيا منذ حين لم تعد بلدًا إسلاميًا، فالدين لا يدرس في مدارسها، وليس مسموحًا بتدريس اللغتين العربية والفارسية في المدارس، وإن قراءة القرآن العربي وكتب الشريعة الإسلامية قد أصبحت الآن مستحيلة بعد استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية». اهـ.

أمام كل حجة يأتي بها دعاة التعريب تأتي عشرات البراهين لتدحض حُجهم في أهمية المحافظة على لغتنا وجعلها لغة العلم، لا نقول أسوة بدول العالم المتقدم فحسب، بل نقول: أسوة بكل دولة صغيرة يحترم أهلها أنفسهم على سطح هذه الأرض.

إنه وفوق ضياع الهوية بالتفريط في لغتنا هناك مأساة تؤكدها الأبحاث التي ذكرت أن المتعلمين بغير لغتهم الأم يفقدون ما يقارب ٣٠٪ من أسبقية التعليم، وهذا يعني أن العربي الذي يتعلم بغير لغته الأم، يكون لديه عجز في الاستيعاب والإبداع العلمي بمقدار الثلث عن زميله الذي يتعلم بلغته الأم، لهذا لا نستغرب ندرة المبدعين في العلوم عندنا في عالمنا العربي.

هذا هو واقعنا الذي نبكي له ونبكي معه، وربما نحاول في أعداد لاحقة نذكر بعضًا من كلام أهل العلم في اللغة العربية وتعلمها ونَرُدُّ على بعض شبه أهل التغريب ممن يحاولون نصب الحيل الخبيثة للوقيعة بهوية الأمة إلى الهاوية، وذلك من خلال الطعن في كفاءة اللغة العربية وقدرتها على مواكبة التطور العلمي ولغة العصر.

إن تشويه الهوية وإضعافها عمل إجرامي تآمري ينحط إلى مستوى الخيانة العظمى للأمة، وقد لعن رسول الله ﷺ من غيّر منار الأرض، فكيف بمن يحاول تغيير هوية أمة ليضلها عن طريق النجاة.

ويقول الشيخ - جاد الحق - شيخ الأزهر السابق إن البحث عن هوية أخرى للأمة الإسلامية خيانة كبرى وجناية عظمى...

نسأل الله تعالى أن يُرغم أنوف المتآمرين على دينه، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون. والحمد لله رب العالمين.

مشروع تيسير حفظ السنة

درر البحار من صحيح الأحاديث القصار

ألف حديث كل ثلاث سنوات

الحلقة السابعة عشرة

إعداد / علي حشيش

٥١١ - إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا ما خَلَقْتُمْ». [متفق عليه من حديث ابن عمر]

٥١٢ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمُصَوِّرُونَ». [متفق عليه من حديث ابن مسعود]

٥١٣ - عَنْ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، يَنْهى عَنِ الْقَزَعِ(١)». [متفق عليه من حديث ابن عمر]

٥١٤ - «سَأَلَتِ امْرَأَةُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ ابْنَتِي أَصَابَتْهَا الْحَصْبَةُ(٢) فَامَّرَقَ شَعْرُهَا، وَإِنِّي زَوَّجْتُهَا؛ أَفَأَصِلُ فِيهِ؟ فَقَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاصِلَةَ(٣) والمَوْصُولَةَ(٤)». [متفق عليه من حديث أسماء]

٥١٥ - «دَعَا رَجُلٌ بِالْبَقِيعِ، يَا أَبَا الْقَاسِمِ! فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: لَمْ أَعْنِكَ. قَالَ: سَمُّوا بِاسْمِي وَلَا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي». [متفق عليه من حديث أنس]

٥١٦ - عن جَابِرٍ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ في دَيْنٍ كَانَ عَلَى أَبِي فَدَقَقْتُ الْبَابَ. فَقَالَ: «مَنْ ذَا» فَقُلْتُ: أَنَا. فَقَالَ: «أَنَا، أَنَا» كَأَنَّهُ كَرِهَهَا». [متفق عليه من حديث جابر]

٥١٧ - «إِنَّ رَجُلًا اطَّلَعَ مِنْ بَعْضِ حُجَرِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَامَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ ، بِمِشْقَصٍ، أَوْ بِمَشَاقِصَ، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَخْتِلُ(٥) الرَّجُلَ لِيَطْعُنَهُ». [متفق عليه من حديث أنس بن مالك]

٥١٨ - «لَوِ اطَّلَعَ فِي بَيْتِكَ أَحَدٌ وَلَمْ تَأْذَنْ لَهُ، خَذَفْتَهُ بِحَصَاةٍ فَفَقَأْتَ عَيْنَهُ، مَا كَانَ عَلَيْكَ مِنْ جُنَاحٍ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٥١٩ - عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِم، وَقَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَفْعَلُهُ». [متفق عليه من حديث أنس بن مالك]

٥٢٠ - «كَانَ إِذَا أَتَى مَرِيضًا، أَوْ أُتِيَ بِهِ قَالَ: «أَذْهِبِ الْبَأْسَ، رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا». [متفق عليه من حديث عائشة]

٥٢١ - «كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، وَيَنْفُثُ . فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ، وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ، رَجَاءَ بَرَكَتِهَا». [متفق عليه من حديث عائشة]

٥٢٢ - «كَانَ يَقُولُ لِلْمَرِيضِ: «بِسْمِ اللَّهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا». [متفق عليه من حديث عائشة]

٥٢٣ - عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، أَوْ أَمَرَ أَنْ يُسْتَرْقَى مِنَ الْعَيْنِ». [متفق عليه من حديث عائشة]

٥٢٤ - عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، رَأَى فِي بَيْتِهَا جَارِيَةً، فِي وَجْهِهَا سَفْعَةٌ(٦). فَقَالَ: «اسْتَرْقُوا لَهَا، فَإِنَّ بِهَا النَّظْرَةَ». [متفق عليه من حديث أم سلمة]

٥٢٥ ـ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: احْتَجَمَ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَعْطَى الحَجَّامَ أَجْرَهُ».

[متفق عليه من حديث ابن عباس]

٥٢٦ ـ «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَحْتَجِمُ، وَلَمْ يَكُنْ يَظْلِمُ أَحَدًا أَجْرَهُ». [متفق عليه من حديث أنس]

٥٢٧ ـ «إِنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا» ثُمَّ أَتَى الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلاً» ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلاً». ثُمَّ أَتَاهُ، فَقَالَ: فَعَلْتُ، فَقَالَ: «صَدَقَ اللَّهُ وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ، اسْقِهِ عَسَلاً» فَسَقَاهُ، فَبَرَأَ.

[متفق عليه من حديث أبي سعيد]

٥٢٨ ـ «لا يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٥٢٩ ـ «لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ» قَالوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: «كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ».

[متفق عليه من حديث أنس بن مالك]

٥٣٠ ـ «إِنَّما مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الإِبِلِ المُعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، إِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ». [متفق عليه من حديث ابن عمر]

٥٣١ ـ «بِئْسَ مَا لأَحَدِهِم أَنْ يَقُولَ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ نُسِّيَ، واسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَفَصِّيًا(٩) مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ».

[متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود]

٥٣٢ ـ «إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لا يَدْرِي لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ». [متفق عليه من حديث عائشة]

٥٣٣ ـ «دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ؛ فَقَالَ: «مَا هَذَا الْحَبْلُ؟» قَالُوا هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ، فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لا حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ». [متفق عليه من حديث أنس بن مالك]

٥٣٤ ـ عَنْ عَبدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُود قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً فَلَمْ يَزَلْ قَائمًا حتى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سُوءٍ، قِيلَ لَهُ: وَمَا هو؟ قال: هَمَمْتُ أَنْ أَقْعُدَ وَأَذَرَ النَّبِيَّ ﷺ.

٥٣٥ ـ «يَا أَبَا مُوسَى: لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا(١٠) مِن مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ».

[متفق عليه من حديث أبي موسى]

٥٣٦ ـ قَرَأَ رَجُلٌ الْكَهْفَ، وَفِي الدَّارِ الدَّابَّةُ فَجَعَلَتْ تَنْفِرُ، فَسَلَّمَ(١١)، فَإِذَا ضَبَابَةٌ أو سَحَابَةٌ غَشِيَتْ فَذَكَرَهُ للنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «اقْرَأْ فُلان! فإِنَّها السَّكِينَةُ نَزَلَتْ لِلْقُرْآنِ» أَوْ «تَنَزَّلَتْ للقرْآنِ». [متفق عليه من حديث البراء بن عازب]

٥٣٧ ـ «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ(١٢)، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ». [متفق عليه من حديث عائشة]

٥٣٨ ـ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأُبَيٍّ: «إِنَّ رَبِي أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ ـ ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ـ قَالَ: وَسَمَّانِي؟ قَالَ: «نَعَمْ»! فَبَكَى. [متفق عليه من حديث أنس بن مالك]

٥٣٩ ـ «الْغُسْلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ(١٣)».

[متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري]

---

(١) القَزَع: القزع أن يحلق رأس الصبي ويترك في مواضع منه الشعر متفرقًا.

(٢) الحصبة: بثرات حمر تخرج في الجسد متفرقة، وهي نوع من الجدري.

(٣) الواصلة: لنفسها أو لغيرها. (٤) الموصولة: أي التي يُفعل بها ذلك.

(٥) يختل: يأتيه من حيث لا يشعر. (٦) سفعة: سواد أو حمرة يعلوها سواد أو صفرة.

(٧) لا طيرة: الطيرة هي التشاؤم بالشيء.

(٨) الفأل: ضد الطيرة، ويستعمل في الخير والشر. (٩) فإنّه أشد تفصيًا: أي تَفَلُّتًا.

(١٠) مزمارًا من مزامير آل داود: أي في حسن الصوت كقراءة داود نفسه.

(١١) فسلّم: دعا بالسلامة ـ كما يقال اللهمّ سلم.

(١٢) مع السفرة: أي الرسل لأنهم يسفرون إلى الناس برسالات الله. (١٣) محتلم: أي بالغ مدرك.

مختارات من علوم القرآن

فضائل القرآن

الحلقة الثانية

إعداد
مصطفى البصراتي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فقد تناولنا في العدد السابق الحديث عن فضائل القرآن وذكرنا بعض الآيات الدالة على فضائل القرآن الكريم، وفي هذا العدد :

١. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحاه الله إليَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة». [رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الكبرى وفي الدلائل والبغوي في شرح السنة]

التعليق:

قال ابن كثير رحمه الله في مقدمة تفسيره: وفي هذا الحديث فضيلةٌ عظيمة للقرآن المجيد على كُلِّ معجزة أعطيها نبيٌّ من الأنبياء وعلى كلِّ كتاب أنزلَهُ.

وذلك أن معنى الحديث: ما من نبيٍّ إلا أُعْطِيَ - أي من المعجزات - ما آمن عليه البشرُ».

أي: ما كان دَليلا على تصديقه فيما جاءَهُم به واتَّبَعَهُ من اتَّبعَهُ من البشر، ثم لما مات الأنبياء لم تبقَ لهم معجزةٌ بعدهم إلا ما يحكيه أتباعُهُم عما شاهدوه في زمانِهِ. وأما الرسولُ الخاتمُ للرسالةِ محمد ﷺ فإنَّما كان معظمُ ما آتاهُ الله وحيًا منه إليه منقُولا إلى الناس بالتواتُر، ففي كلِّ حينٍ هو كما أُنزلَ.

فلهذا قال: «فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا» وكذلك وَقعَ. فإن اتباعه أكثر من اتباع الأنبياء لعموم رسالته، ودوامها إلى قيام السَّاعة واستمرار معجزته.

ولهذا قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١]. وقال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:٨٨] ثم تحداهم أن يأتو بعشر سور منه،

ثم تحداهم إلى أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، وأخبر أنهم عاجزون عن معارضته بمثله وأنهم لا يفعلون ذلك في المستقبل أيضًا، هذا وهم أفصحُ الخلق وأعلمهُم بالبلاغة والشعر وضروب الكلام لكن جاءهم من الله ما لا قبل لأحد من البشر به من الكلام الفصيح البليغ الوجيز المحتوي على العلوم الكثيرة الصحيحة النافعةِ والأخبار الصادقة، عن الغيوب الماضية والآتية والأحكام العادلة المحكمة، كما قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً ﴾ [الأنعام:١١٥]. انتهى بتصرف.

٢.عن ابن شهاب قال: أخبرني أنس بن مالك أن الله تابع الوحي على رسوله ﷺ قبل وَفَاتِهِ حتى توفاه أكثر ما كان الوَحيُ، ثم تُوفِّي رسول الله ﷺ بَعْدُ».

ومعناه: أن الله تعالى ـ تابع نزول الوحي على رسوله ﷺ شيئا بعد شيء كلَّ وقتٍ بما يحتاج إليه، ولم تقع فترةٌ بعد الفترة الأولى التي كانت بعد نزول الملك أولَ مَرَّةٍ بقوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ [العلق:١] فإنه استلبثَ الوحيُ بعدها حينًا، يقال: قريبًا من سنتين أو أكثر، ثم حميَ الوحي وتتابع، وكان أولُ شيء نزل بعد تلك الفترة ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر:١-٢].

٣. عن الأسود بن قيس قال: سمعت جُنْدبًا يقول: اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين، فأتته امرأةٌ فقالت: يا محمدُ ما أرى شيطانك إلا تركك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى:١-٣].

[رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائيُّ]

قال ابن كثير: والمناسبة في ذكر هذا الحديث والذي قبله في فضائل القرآن أن الله تعالى له برسوله عناية عظيمة ومحبة شديدة، حيث جعل الوحي متتابعًا عليه ولم يقطعه عنه، ولهذا إنما أنزل عليه القرآن مفرقًا ليكون ذلك أبلغ في العناية والإكرام.

[انتهى كلام ابن كثير في مقدمة التفسير]

٤. عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الصيام والقرآنُ يشفعان للعبد يومَ القيامة يقولُ الصيام: أي رَبِّ منعتُهُ الطعامَ والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقولُ القرآنُ: رب مَنعتُهُ النَّوم بالليل فشفعني فيه فيُشَفَّعَانِ». [رواه أحمد واللفظ له، وقال الشيخ شاكر إسناده صحيح]

٥. عن أبي أمامة البَاهليّ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرؤُوا القرآنَ، فإنه يأتي يوم القيامةِ شفيعًا لأصحابه...». [رواه أحمد ومسلم في كتاب الصلاة ـ فضل تعلم القرآن وقراءته]

التعليق:

هذه الشفاعةُ علي تقدير أن يكونَ القارئ صاحب كبيرة فيخلصه من النَّار، وإن لم يكن عليه ذنوبٌ شفع له في رفع درجاته في الجنة، أو في المسابقةِ والمسارعة إليها، أو في جميع ذلك، أو ما شاء اللهُ منها، إذ كُلُّ ذلك بكرمه تعالي وتفضله.

٦. عن ابن مسعود رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «إن هذا القرآن مأدُبةُ الله فاقبلوا مأدُبَتهُ ما استطعتُم، إن هذا القرآن حَبلُ الله، والنورُ المبين والشفاءُ النافعُ عصمةٌ لمن تمسَّك به ونجاة لمن اتبعَهُ، لا يزيغ فيستعتبُ ولا يَعْوَجُّ فيقومُ ولا تنقضي عجائبُهُ، ولا يخلُقُ من كثرة الرَدِّ، اتلوهُ فإن الله يأجُرُكمْ علي تلاوتِهِ بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول الم حرفٌ، ولكن ألف عشر ولام عشر وميم عشر».

أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن، والحاكم في المستدرك في فضائل القرآن، وابن أبي شيبة في المصنف والدارمي وعبد الرزاق وذكره الهيثمي موقوفا على ابن مسعود، والحديث ذكره الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٦٠) وقال: هذا إسناد لا بأس به في المتابعات، رجاله كلهم ثقات غير الهجري وهو لين الحديث.

التعليق:

قال أبو عبيد في غريبه عن عبد الله قال: «إن هذا القرآن مأدبة الله فمن دخل فيه فهو آمن». قال وتأويل الحديث: أنه مَثلٌ شَبَّه القرآن بصنيع صنعه الله عز وجل للناس، لهم فيه خير ومنافع ثم دعاهم إليه.

يقال مأدُبة، فمن قال: مأدُبة (أي بضم الدال) أراد الصنيع يصنعه الإنسان فيدعو إليه الناس ومن قال مأدَبة (أي بفتح الدال) فإنه يذهب إلى الأدب يجعله مَفْعَلة من الأدب. ومعنى: حبل الله: أي نور هداه، وقيل: عهده وأمانه الذي يؤمن مِن العذاب، والحبل العهد والميثاق.

لا يَخْلَقْ: أي لا يبلى، والمعنى: لا تزول لذة قراءته وتلاوته.

لا يزيغ: لا يميل عن الهدى والقصد.

فضل تلاوة القرآن وحفظه:

إن لتلاوة القرآن الكريم وحفظه وتعهده بالقراءةِ من الفضل ما لا يخفى ويكفى لإثبات ذلك ما جاءت به الآيات الكريمةُ والأحاديث الشريفة وآثار الصحابة رضوان الله عليهم فمن الآيات قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:٢٩-٣٠]. وقد كان قتادةُ رضي الله عنه إذا قرأ هذه الآية يقولُ: هذه آيةُ القراء، وذلك لما أثبتهُ لهم من الأجر العظيم والثواب المضاعف فهم لا ينعمونَ بالأجر وافيًا وإنما يزيدُهم الله إكراما وفضلا.

قال القرطبيُّ: هذه الزيادةُ هي الشفاعةُ في الآخرة، وقد ربط المولى عز وجل بين تلاوةِ القرآن والإيمان به، فقال: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة:١٢١].

وقد جاء عن ابن مسعود في تفسير هذه الآية أن من حق التلاوة أن يقرأه كما أنزله الله ولا يُحرفَ الكلم عن مواضعِهِ، ولا يتأولَ منه شيئًا على غير تأويله، وهنا رَبطٌ واضح بين التلاوة الحقة والإيمان بكتاب الله، أما الذين أوتُوا الكتاب فقيل: هم أصحابُ النبي ﷺ والكِتابُ على هذا هو القرآنُ، وقيل هم من أسلم من بني إسرائيل والصوابُ كما قال القرطبي أن الآية تَعُمُّ، وحقُّ التلاوة يجوزُ أن يكون بمعنى الاتباع أو العمل بمحكمه والإيمان بمتشابهه، ويجُوز أن تكون بمعنى: يقرءونَهُ ولا تعارض بين الرأيين «لأن بترتيل ألفاظِهِ وفهم معانيه يكون الاتباع لمن وُفِّقَ، لقد شبَّهَ المصطفى ﷺ الذي يقرأ القرآن بالأُترجَّة ريحها طيب وطعمها طيب، والأترجة هي ثمرة جامعة لطيب الطعم والرائحة وحسن اللون».

كما أخبرنا ﷺ أن الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررةِ وأن الذي يقرأ القرآن ويتعتعُ فيه وهو عليه شاق له أجران - والأجران أحدهما بالقراءة والآخر لمحاولة الحفظ - والتعتعة هي التردد في القراءة لضعف الحفظ.

وأيُّ فضلٍ وأيُّ شرفٍ يرنُو إليه مُسلمٌ يعلُو ما أخبر به ﷺ من أن القرآن يأتي يوم القيامة يُلبسُهُ تاج الكرامة ويجعله ممن رضي الله عنهم، وعندما يتم الرضوان يقالُ له: اقرأ وارقَ، ورتل كما كنت ترتلُ في الدُّنيا فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها، وأخبر الصادقُ المصدوق أيضا «أن القرآن يأتي شفيعا لأصحابه يوم القيامة، وقال أبو موسى الأشعريُّ رضي الله عنه - من يتتبع القرآن يهبط به على رياض الجنة.

وفي الأعداد القادمة إن شاء الله نستعرض الأحاديث الواردة في فضل تلاوة القرآن وحفظه وكذلك فضائل السور وغيرها من الأحاديث المتعلقة بفضائل القرآن مع التعليق عليها.

والله الموفق للصواب وبه الثقة وعليه التكلان.

سد الذرائع في

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. وبعد:

فلما كان التوحيد أعظم مطلوب، كانت العناية والاهتمام به من أوجب الواجبات وهذا واضح في دعوات الأنبياء والمرسلين، فما من نبي بعثه الله إلى قومه إلا وجعل لُبَّ رسالته وأساسَ دعوته التوحيد، وقد مكث النبي ﷺ ثلاثة عشر عاما يركز ويكرر الدعوة إلي التوحيد، ولما هاجر إلى المدينة النبوية ونزلت عليه الأحكام والتشريعات كان يبينها ويدعو من خلالها إلى تثبيت وتأكيد التوحيد في النفوس، ليكون الدين كله لله، ولا يعبد أحد سواه، واقتضى ذلك أن يضع القواعد اللازمة لصيانته، وأن يقضي على كل وسيلة مفضية إلى الإخلال به، وأن يسد كل ذريعة يمكن أن تؤدي إلى شائبة فيه، وهذا من كمال الشريعة ومقاصدها الحميدة.

يقول العلامة ابن القيم - رحمه الله -: «لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها، فوسائل المحرمات والمعاصي في كراهتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غاياتها وارتباطاتها بها، ووسائل الطاعات والقربات في محبتها والإذن فيها بحسب إفضائها إلى غايتها، وهي مقصودة قصد الوسائل، فإذا حرم الرب تعالى شيئا وله طرق ووسائل تُفضي إليه فإنه يحرمها ويمنع منها، تحقيقا لتحريمه وتثبيتا له، ومنعًا أن يُقرب حماه، ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليه لكان ذلك نقضا للتحريم، وإغراءً للنفوس به، وحكمته تعالى وعلمه يأبى ذلك كل الإباء»(١).

ولأهمية هذا الموضوع وتجليته؛ وبيان شيء من حماية المصطفى ﷺ للتوحيد استعنت بالله عز وجل في الكتابة حول هذا الموضوع، وجمع ما تفرق من أقوال لعلماء السلف فيه، وقبل الشروع في المقصود أذكر أولا تعريف الذريعة والأدلة على وجوب سدِّها.

أولا: تعريف الذريعة

الذريعة: هي الوسيلة والسبب إلى الشيء، وأصلها عند العرب: الناقة التي يستتر بها رامي الصيد حتى يصل إلى صيده(٢).

قال ابن تيمية: «والذريعة: ما كان وسيلة وطريقًا إلى الشيء، لكن صارت في عرف الفقهاء عبارة عما أفضت إلى فعل محرم، ولو تجردت عن ذلك الإفضاء لم يكن فيها مفسدة، ولهذا قيل: الذريعة: الفعل الذي ظاهره أنه مباح وهو وسيلة إلى فعل المحرم»(٣).

وقال الشاطبي: «حقيقة الذريعة: التوسل بما هو مصلحة إلى مفسدة»(٤).

والذرائع بذلك تختلف عن الحيل، فسد الذرائع مطلوب، والحيل محرمة لا تجوز، لأن حقيقتها: تقديم عمل ظاهر الجواز لإبطال حكم شرعي وتحويله في الظاهر إلى حكم آخر، كالواهب ماله عند رأس الحول فرارا من الزكاة(٥).

قال ابن تيمية: «واعلم أن تجويز الحيل يناقض سد الذرائع مناقضة ظاهرة، فإن الشارع سد الطريق إلى ذلك المحرم بكل طريق، والمحتال يريد أن يتوصل إليه»(٦).

وقال ابن القيم: «وتجويز الحيل يناقض سد الذرائع مناقضة ظاهرة فإن الشارع يسد الطريق إلى المفاسد بكل ممكن، والمحتال يفتح الطريق إليها بحيله، فأين من يمنع من الجائز خشية الوقوع في المحرم إلى من يعمل الحيلة في

إعداد

د. عبد الله شاكر الجنيدي

نائب الرئيس العام

التوصل إليه»(٧).

ثانيًا: الأدلة على وجوب سد الذرائع

دل القرآن والسنة والإجماع على وجوب سد الذرائع، وإليكم بعض ما جاء من ذلك.

أولا: أدلة القرآن الكريم:

١- قال تعالى: ﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨].

ووجه الدلالة من الآية: أن الله سبحانه وتعالى نهى المؤمنين عن سب آلهة المشركين، وإن كان فيه مصلحة، إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهي سب المشركين الله عز وجل، فكان النهي سدًا لهذه الذريعة، وهذا دليل على المنع من الجائز إذا كان يؤدي إلى محرم.

قال القرطبي: «في هذه الآية ضرب من الموادعة، ودليل على وجوب الحكم بسد الذرائع»(٨).

ونقل القاسمي عن بعض العلماء قوله في الآية: «إنه متى خيف من سب الكفار وأصنامهم أن يسبوا الله، أو رسوله، أو القرآن لم يجز أن يُسَبُّوا ولا دينهم، قال: وهي أصل في قاعدة سد الذرائع»(٩).

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي: «وفي هذه الآية الكريمة دليل للقاعدة الشرعية، وهو أن الوسائل تعتبر بالأمور التي توصل إليها، وأن وسائل المحرم، ولو كانت جائزة تكون محرمة إذا كانت تفضي إلى الشر»(١٠).

٢- وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٠٤].

ووجه الدلالة من الآية: أن الله سبحانه وتعالى نهى المؤمنين عن كلمة «راعنا»، ومعناها عندهم راعنا سمعك، أي: اسمع لنا ما نريد أن نسأل عنه ونراجعك فيه، وهذا معنى صحيح، ولكن الله نهاهم عنها سدا للذريعة، لأن اليهود كانوا يقولونها لاوين بها ألسنتهم، لتوافق كلمة شتم عندهم، أو نسبة النبي ﷺ إلى الرعونة.

وسيأتي كلام على هذه الآية - إن شاء الله تعالى - فيما بعد.

ثانيًا: الأدلة من السنة:

١- عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه»(١١).

ووجه الدلالة من هذا الحديث: أن النبي ﷺ جعل الرجل لاعنا لأبويه إذا كان سببا في ذلك، وإن لم يقصده.

قال النووي - رحمه الله - في شرحه للحديث «فيه دليل على أن من تسبب في شيء جاز أن ينسب إليه ذلك الشيء وإنما جعل هذا عقوقًا لكونه يحصل منه ما يتأذى به الوالد تأذيا ليس بالهين......، وفيه قطع الذرائع، فيؤخذ منه النهي عن بيع العصير ممن يتخذ الخمر، والسلاح ممن يقطع الطريق ونحو ذلك. والله أعلم»(١٢).

وقال ابن حجر: «قال ابن بطال: هذا الحديث أصل في سد الذرائع، ويؤخذ منه أن من آل فعله إلى محرم يحرم عليه ذلك الفعل، وإن لم يقصد إلى ما يحرم، والأصل في هذا الحديث: قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾(١٣).

٢- قال عبد الله بن أبي بن سلول في غزوة بني المصطلق: «أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ النبي ﷺ فقام عمر فقال: يا رسول الله: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ «دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه»(١٤).

ووجه الدلالة من قول النبي ﷺ هذا، أنه كان يكف عن قتل المنافقين مع كونه مصلحة، لئلا يكون ذريعة لتنفير الناس عنه وقولهم: إن محمدا يقتل أصحابه.

يقول ابن تيمية في ذلك: «إن النبي ﷺ كان يكف عن قتل المنافقين مع كونه مصلحة لئلا يكون ذريعة إلى قول الناس إن محمدا ﷺ يقتل أصحابه لأن هذا القول يوجب النفور عن الإسلام ممن دخل فيه، وممن لم يدخل فيه، وتنفيرهم هكذا حرام»[15].

ثالثا: الإجماع:

أجمع الصحابة على بعض المسائل التي يمكن أن يستدل بها على وجوب سد الذرائع، وقد اعتبرها أهل العلم أدلة على سد الذرائع واحتجوا بها، كما عمل بها كثير من الأئمة، وإليكم بعض الأدلة.

١- إن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ورثوا المطلقة المبتوتة في مرض الموت، حيث يتهم بقصد حرمانها من الميراث بلا تردد، وإن لم يقصد الحرمان، لأن الطلاق ذريعة وأما حيث لا يتهم ففيه خلاف معروف[16].

وقد رجح ابن قدامة توريثها فقال: «وإن كان الطلاق في المرض المخوف، ثم مات من مرضه ذلك في عدتها ورثته، ولم يرثها إن ماتت...، وروي عن عتبة بن عبد الله بن الزبير لا ترث مبتوتة....، ولنا: أن عثمان رضي الله عنه وَرَّث تماضر بنت الأصبغ الكلبية من عبد الرحمن بن عوف، وكان طلقها في مرضه فبتها، واشتهر ذلك في الصحابة فلم ينكر فكان إجماعًا»[17].

٢- إجماع الصحابة رضي الله عنهم وعامة الفقهاء على قتل الجماعة بالواحد، وإن كان قياس القصاص يمنع ذلك، لئلا يكون عدم القصاص ذريعة إلى التعاون على سفك الدماء، قال ابن قدامة: «... ولأن القصاص لو سقط بالاشتراك أدى إلى التسارع إلى القتل به، فيؤدي إلى إسقاط حكمة الردع والزجر»[18].

وقد تتابع كثير من العلماء على اعتبار سد الذرائع، وحكَّمها الإمام مالك في أكثر أبواب الفقه، كما ذكر الشاطبي[19]، وقال بعد أن ذكر خلافا بين الإمامين مالك والشافعي: «فقد ظهر أن قاعدة سد الذرائع متفق على اعتبارها في الجملة»[20].

وقال ابن بدران: «سد الذرائع هو مذهب مالك وأصحابنا»[21]، يعني الحنابلة.

وقد قال بها ابن تيمية، وذكر لها ثلاثين شاهدا من الشريعة يدل عليها[22]، وتوسع ابن القيم فذكر تسعة وتسعين دليلا عليها، وختم كلامه بقوله: «ولنقتصر على هذا العدد من الأمثلة الموافق لأسماء الله الحسنى التي من أحصاها دخل الجنة...، وباب سد الذرائع أحد أرباع التكليف، فإنه أمر ونهي، والأمر نوعان: أحدهما: مقصود لنفسه، والثاني: وسيلة إلى المقصود، والنهي نوعان: أحدهما: ما يكون المنهي عنه مفسدة في نفسه، والثاني: ما يكون وسيلة إلى المفسدة، فصار سد الذرائع المفضية إلى الحرام أحد أرباع الدين»[23].

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين جـ٣/١٤٧.
(٢) لسان العرب جـ٨/٩٦، والقاموس المحيط جـ٣/٢٤.
(٣) مجموعة الفتاوى الكبرى جـ٣/١٣٩.
(٤) الموافقات جـ٣/١٩٩.
(٥) المرجع السابق جـ٣/٢٠١.
(٦) مجموعة الفتاوى الكبرى جـ٣/١٤٥.
(٧) إعلام الموقعين جـ٣/١٧١.
(٨) الجامع لأحكام القرآن جـ٤/٢٤٩٧.
(٩) محاسن التأويل جـ٦/٢٤٦٣.
(١٠) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان جـ٢/٤٥٤، ٥٥٤.
(١١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب٤ جـ١٠/٤٠٣، ومسلم كتاب الإيمان باب٣٨ ط/٩٢ وأبو داود في كتاب الأدب باب ١٢٩ جـ٥/٣٥٢.
(١٢) شرح النووي على مسلم جـ٢/٨٨.
(١٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري جـ١٠/٤٠٤.
(١٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير جـ٨/٦٤٨، ومسلم في كتاب البر باب ١٦ جـ٤/١٩٩٨.
(١٥) مجموعة الفتاوى الكبرى جـ٣/١٤٠.
(١٦) انظر مجموعة الفتاوى الكبرى لابن تيمية جـ٤/١٤٣.
(١٧) المغني جـ٦/٣٢٩، ٣٣٠.
(١٨) المرجع السابق جـ٧/٦٧٢، ومجموعة الفتاوى الكبرى جـ٤/١٤٣.
(١٩) الموافقات جـ٤/١٩٨.
(٢٠) المرجع السابق جـ٤/٢٠٠، ٢٠١.
(٢١) المدخل إلى مذهب أحمد ١٣٨.
(٢٢) مجموعة الفتاوى الكبرى جـ٣/١٣٨ - ١٤٥.
(٢٣) إعلام الموقعين جـ٣/١٧١.



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد: فاتقوا الله - عبادَ الله - حقَّ التقوى، فتقوى الله ذِكرَى لكلّ أوّابٍ ونجاةٌ للعبادِ من العذاب.

أيّها المسلِمون، تسعَد المرأةُ المسلِمة باقتِفاءِ أثر خَيرِ نِساءٍ عِشنَ في أفضل القرون وتربَّين في أجلِّ البيوتِ بيتِ النّبوّة، أعلَى الله مكانتَهن، وأجلَّ قدرَهن، ونزل القرآن بالثّناءِ عليهنّ، قال عزّ وجلّ: يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ [الأحزاب:٣٢]، زَوجاتٌ مبارَكات، ونِساء عظيمَات.

لفضيلة الشيخ
عبد المحسن بن محمد القاسم
إمام المسجد النبوي

أُولاهنّ المرأة العاقِلَة الحاذِقة ذاتُ الدين والنسب خديجة بنت خُويلدٍ رضي الله عنها، نشأت على التخلُّق بالفضائلِ والتحلِّي بالآداب والكرَم، واتَّصفت بالعفّة والشرف، كانت تُدعَى بين نساءِ مكّة بالطاهرة. تزوَّجَها المصطفى ﷺ فكانت نِعمَ الزوجة له، آوَته بنفسِها ومالها ورجَاحةِ عقلها، وفي أحزانِه ﷺ كان يأوِي إليها ويبُثّ إليها همومَه. نزل عليه الوحيُ أوّلَ نزوله فرجَع إليها يرجُف فؤادُه من هَول ما رأى، وقال لها: «ما لي يا خديجة؟! لقد خشِيتُ على نفسي»، فتلقَّته بقَلبٍ ثابت وقالت له: كلاًّ والله، لا يخزيك اللهُ أبدًا!

لاحَ الإسلام في دارها فكانت أوّلَ من آمن من هذه الأمة، قال ابنُ الأثير رحمه الله: "خديجة أوّلُ خلق الله إسلامًا بإجماعِ المسلمين، لم يتقدَّمها رجلٌ ولا امرَأة"!

عظُمَت الشّدائِد على النبيِّ ﷺ في مطلَع دعوتِه، واشتدَّ الإيذاء، فكانت له قلبًا حانيًا ورأيًا ثاقبًا، لا يسمَع من الناس شيئًا يكرهه ثم يرجِع إليها إلاّ ثبّتته وهوَّنت عليه، يقول النبيّ ﷺ: «آمنت بي إذ كَفَر بي النّاس، وصدَّقتني إذ كذَّبني الناس، وواسَتني بمالها إذ حرَمني الناس، ورزَقني الله ولدَها إذ حرمني أولادَ النساء». [رواه أحمد]

عظيمة بارّةٌ بزوجها وأمّ حنون، جميع أولادِ النبيّ منها سوى إبراهيم، أدبُها رفيعٌ وخُلُقها جَمّ، لم تراجِع المصطفى يومًا في الكلام، ولم تؤذِه في خِصام، يَقول النبيّ ﷺ: «أتاني جِبريل فقال: بشِّرها ببيتٍ في الجنة من قصب - أي: لؤلؤ مجوَّف، لا صخَبَ ولا نصَب» [متفق عليه]

قال السّهيليّ رحمه الله: "إنما بشَّرها ببيتٍ في الجنة لأنها لم ترفَع صوتَها على النبيّ ، ولم تُتعِبه يومًا من الدهر، فلم تصخَب عليه يومًا، ولا آذته أبدًا"!

كانت راضيَةً مرضيّة عند ربِّها، يقول ﷺ: «قال لي جبريل: إذا أتتك خديجة فأقرئ عليها السلام من ربِّها ومنّي» متفق عليه!خطأ ألإشارة المرجعية غير معرفة.. قال ابن القيّم رحمه الله: "وهي فضيلةٌ لا تعرَف لامرأةٍ سِواها"!خطأ الإشارة المرجعية غير معرفة.. أحبَّها الله وأحبَّتها الملائكة وأحبَّها النبيّ ﷺ يقول: «إنّي رُزِقت حبَّها» [رواه مسلم]

كان إذا ذكرَها أعلَى شأنَها وشكَر صُحبتَها، تقول عائشة رضي الله عنها: كان النبيّ ﷺ إذا ذكَر خديجةَ لم يكن يسأَم من ثَناءٍ عليها واستغفار لها!خطأ الإشارة المرجعية غير معرفة.. حفِظ لها وُدَّها ووفاءها، فكان يكرِم صاحبَاتها بعدَ وفَاتِها، تقول عائشة رضي الله عَنها: وربَّما ذبح الشاةَ، ثم يقطِّعها أعضاءً، ثمّ يبعثها إلى صديقات خديجة، فربما قُلتُ له: كأنّه لم يكن في الدّنيا امرأةٌ إلاّ خديجة! فيقول: «إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد» [رواه البخاري]

سمع النبيُّ ﷺ صوتَ أختِها بعد وفاتها فحزِن كثيرًا وقال: «ذكَّرتني بخديجة».

كمُلت في دينِها وعقلِها وخلقِها، يقول ﷺ: «كمُل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا ثلاث: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنتُ خويلد». [رواه ابن مردويه]

سبَقت نساءَ هذه الأمة في الخيريّة والشرف والسناء، يقول ﷺ: «خيرُ نِسائها - أي: في زمانها - مريمُ بنت عمران، وخير نسائها - أي: من هذه الأمة - خديجة». [متفق عليه]

صَلحت في نفسِها وأصلَحت بيتَها، فجَنَت ثمرةَ جُهدها، فأصبَحت هي وابنتُها خيرَ نساء العالمين في الجنّة، يقول ﷺ: «أفضلُ نِساء أهل الجنّة خديجةُ وفاطمة ومريمُ وآسية». [رواه أحمد]

كانت عظيمةً في فؤادِ النبيِّ ﷺ، فلم يتزوَّج امرأةً قبلَها ولم يتزوَّج امرأةً معها ولا تسرّى إلى أن قضَت نحبَها، فحزِن لفَقدِها، يقول الذهبيّ رحمه الله: "كانت عاقلةً جليلةً ديِّنةً مَصونةً كريمةً من أهل الجنة".

وفي بَيتِ الصّدقِ والتّقوى ولِدَت عائشةُ بنتُ أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، ونشأت في بيتِ الإيمان، فأمُّها صحابيةٌ، وأختُها أسماءُ ذاتُ النطاقين صحابيّة، وأخوها صحابيٌّ، ووالدُها صدِّيق هذه الأمة. ترَعرَعت في بيتِ علم، كان أبوها علاّمةَ قريش ونسّابتَها، منحَها الله ذكاءً متدفِّقًا وحفظًا ثاقبًا، قال ابن كثير رحمه الله: "لم يكن في الأمَم مِثلُ عائشةَ في حفظِها وعلمِها وفصاحتِها وعقلِها"!خطأ الإشارة المرجعية غير معرفة.، فاقَت نساءَ جنسِها في العلم والحكمة، رزِقت في الفقه فهمًا وفي الشعر حفظًا، وكانت لعلوم الشّريعة وعاءً، يقول الذهبي رحمه الله: " أفقهُ نساءِ الأمّة على الإطلاق، ولا أعلمُ في أمّة محمد بل ولا في النساء مطلقًا امرأةً أعلمَ منها".

سمَت على النساء بفضائلِها وجميلِ عِشرتها، يقول المصطفى ﷺ: «فضل عائشةَ على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام». [متفق عليه]

أحَبَّها النبي ﷺ، وما كان ليحبَّ إلا طيّبًا، يقول عمرو بن العاص: أيّ النّاس أحبُّ إليك يا رسول الله؟ قال: «عائشة». قلت: فمن الرجال؟ قال: «أبوها». [رواه البخاري]

لم يتزوَّج بكرًا غيرَها، ولا نزَل الوحيُ في لحافِ امرأةٍ سِواها، عَفيفةٌ في نفسِها، عابدةٌ لربِّها، لا تخرُج من دارِها إلاّ ليلاً لئلا يراها الرّجال، تقول عن نفسِها: كنّا لا نخرُج إلاّ ليلاً!خطأ الإشارة المرجعية غير معرفة.، محققةً قولَ الله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣]، قال القرطبيّ رحمه الله: "والشريعة طافحة بلزوم النّساءِ بيوتَهنّ والانكفاف عن الخروج منها إلا لضرورة.. فإن مَسّت الحاجةُ إلى الخروج فليكُن على تبذّلٍ وتستّرٍ تامّ".

والله يبتَلي من يحبّ، والابتلاء على قدر الإيمان، بُهِتَت رضي الله عنها وعُمرُها اثنا عشرَ عامًا، قالت: فبكَيتُ حتى لا أكتحِل بنوم ولا يَرقأ لي دَمع، حتى ظنَّ أبواي أنّ البكاءَ فالِقٌ كبدي، واشتدَّ بها البلاء، قالت: حتى قلَصَ دمعي فلا أحسّ منه قطرة!خطأ الإشارة المرجعية غير معرفة.. قال ابن كثير رحمه الله: فغارَ الله لها، وأنزَل براءتها في عشرِ آيات تتلَى على الزمان، فسمَا ذكرُها وعلا شأنُها؛ لتسمعَ عَفافها وهي في صباها. فشهِدَ الله لها بأنها من الطيّبات، ووعَدَها بمغفرةٍ ورزق كريم.

لم تزَل ساهرةً على نبيِّنا ﷺ، تمرِّضُه وتقوم بخدمتِه، حتى توفّيَ في بيتِها وليلَتِها وبين سَحرِها ونحرِها.

وسَليمَةُ القلب سَودةُ بنت زمعَة رضي الله عنها، أوّلُ من تزوَّجَ بها النبيّ ﷺ بعد خديجَة، وانفردَت به نحوًا من ثلاثِ سنين، كانت جليلةً نبيلَة، رزِقت صفاءَ السّريرة، وَهَبت يومَها لعائشة رضي الله عنها رِعايةً لقلب النبي ﷺ تبتغي رِضا ربِّها.

والقوّامةُ الصوّامة حفصةُ بنت أمير المؤمنين عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه، نشأت في بيتِ نُصرةِ الدين وإظهار الحق، سَبعةٌ من أهلها شهدوا بدرًا، تقول عنها عائشة رضي الله عنها: هي التي كانت تُساميني من أزواج النبيِّ ﷺ.

والمُنفقةُ زينبُ بنت خُزيمةَ الهلاليّة، ذات البذل والمسارعة في الخيرات، مكثَت عند النبيِّ ﷺ شهرَين ثم توفِّيَت.

والمهاجرة المحتسِبَة أمّ حبيبة رملة بنت أبي سفيانَ رضي الله عنها، ليس في أزواجِه مَن هي أقربُ نسبًا إليه منها، ولا في نسائِه مَن هي أكثرُ صَداقًا منها، ولا فيمَن تزوَّج بها وهي نائيَةُ الدار أبعَدَ منها، عقَدَ عليها وهي في الحبَشة فارّةً بدينها، وأصدقَها عنه صاحبُ الحبَشة وجهَّزها إليه.

والصّابرة الحييّة أمّ سلمة رضي الله عنها هندُ بنت أبي أميّة مِن المهاجرات الأُوَل، ولمّا أرادتِ الهجرةَ إلى المدينة مع زوجها أبي سلمة فرَّق قومُها بينها وبين زوجِها وطفلِها، قالت: فكُنتُ أخرج كلَّ غداة وأجلس بالأبطح، فما أزال أبكي حتى أمسي سنةً كاملة أو قريبًا منها، حتى أشفقوا عليَّ فأعادوا إليَّ طفلي.

يقينُها بالله راسخ، توفِّيَ عنها زوجها أبو سلمة فقالت دعاءً نبويًا، فعوَّضها الله برسول الله ﷺ زوجًا لها، تقول: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «ما مِن مسلم تصيبُه مصيبةٌ فيقول: إنّا لله وإنا إليه

راجعون اللّهمّ أجُرني في مصيبتي وأخلِف لي خيرًا منها إلا أخلَف الله له خيرًا منها»، قالت: فلمّا مات أبو سلمة قلت: أيّ المسلمين خير من أبي سلمة أوّل بيت هاجر إلى رسول الله؟! ثمّ إنّي قلتها فأخلَف لي رسولَ الله ﷺ. [رواه مسلم]

فاجعَل هذا الدعاءَ ذُخرًا لك عندَ حلولِ المصاب يعوِّضْك خيرًا من مصيبَتِك.

وأمّ المساكين زَينبُ بنتُ جَحش بنت عمّة رسول الله، نَعِمت بالحسَب والنّسب والشرف والبَهاء، زوَّجَها الله نبيَّه بنصٍّ كتابه، بلا وليٍّ ولا شاهد، قال عز وجل: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب:٣٧]. زواجُ النبيِّ ﷺ بها بركةٌ على المسلمات إلى قيام الساعة حين فُرض الحجابُ على بناتِ حوّاء بَعد أن تزوَّجها؛ ليكونَ صِيانةً للشرَف والعفاف والنقاء.

سخيَّة العطاءِ للفقراءِ والضعفاء، كثيرةُ البرّ والصدقة، ومع شريف مكانتِها وعلوِّ شأنها كانت تعمَل بيدها تدبَغ وتخرزُ وتتصدَّق من كسبها، قالت عنها عائشة رضي الله عنها: ما رأيتُ امرأة خيرًا في الدّين من زينب؛ أتقَى لله وأصدَق حديثًا وأوصَل للرّحم وأعظم صَدقة.

والعابدة جويرية بنت الحارث رضي الله عنها من بني المصطلِق، أبوها سيِّدٌ مطاع في قومه، وهي مباركَة في نفسها وعلى أهلها، تقول عائشة رضي الله عنها: ما رأيتُ امرأةً كانت أعظمَ بركة على قومِها منها.

كثيرةُ التعبُّد لربِّها، قانتةٌ لمولاها، كانت تجلِس في مصلاّها تذكرُ الله إلى نصف النّهار، تقول: أتى عليَّ رسول الله ﷺ غدوة وأنا أسبِّح، ثم انطلَق لحاجته، ثمّ رجع قريبًا من نصف النهار، فقال: «أما زلتِ قاعدة؟» يعني: تذكرينَ الله، قالت: نعم. [رواه مسلم]

والوجيهةُ صفيّة بنت حييّ رضي الله عنها، من ذرّيّة هارونَ عليه السلام، كانت شريفةً عاقلة ذاتَ مكانةٍ ودين وحِلم ووقار، قال لها النبي ﷺ: «إنك لابنةُ نبيّ - أي: هارون، وإنّ عمّك لنبيّ - أي: موسى، وإنّك لتحتَ نبيّ». [رواه الترمذي]

كانت وليمةُ النبيِّ ﷺ عليها في زواجها السّمن والأقِط والتمر، فكان زواجًا ميسَّرًا مباركًا.

وواصلة الرّحِم أمّ المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلاليّة رضي الله عنها من عظماء النساء، منحَها الله صفاءَ القلب ونقاء السريرة وملازمةَ العبادة، تقول عائشة رضي الله عنها: أما إنّها كانت من أتقانا لله وأوصلِنا للرّحم.

وبعد: أيها المسلمون، فتلك سيرةُ الخالداتِ في الإسلام أمّهات المؤمنين، مَناقبهن مشرقة، جمعنَ بين المحاسِن والفضائل، حقيقٌ بنساء المسلمين أن يجعلنَهنّ نبراسًا للحياة، يرتشِفن من معين مآثرهن، ويقتدينَ بهن في الدين والخلق ومراقبةِ الله والانقياد التام لله ورسوله وملازمة العبادة والإكثار من الطاعات والصّدق في الحديث وحفظ اللسان والبذل للفقراء وتفريج كرُبات الضعفاء والسعي لإصلاح الأبناء والصّبر على تقويم عوَجهم والتحصُّن بالعلم وسؤال العلماء الراسخين وملازمة السّتر والعفاف والقرار في البيوت والحجاب والبعد عن الشبهات والشهوات والحذَر من طول الأمل والغفلة في الحياة أو الاعتناء بالظاهر مع فسادِ الباطن وإطلاق البصَر في المحرّمات والخضوع بالقول مع الرجال، وليَحذَرن من الأبواق الدّاعية إلى التبرّج والاختلاط بالرّجال، فشمَوخُ المرأة وعزُّها في دينِها وحجابها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٩].

زوجاتُ النبي ﷺ عِشن معه في بيتٍ متواضع، في حجرات بنيت من اللَّبن وسعف النخل، ولكنه مليء بالإيمان والتقوى، صبرن مع النبي ﷺ على الفقر والجوع، كان يأتي عليهن الشهر والشهران وما يوقد في بيوتهن نار، وتأتي أيام وليس في بيوتهن سوى تمرة واحدة، ويمر زمن من الدهر ليس فيها سوى الماء بدون طعام، قناعة في العيش وصبر على موعود الله، ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [الضحى:٤].

أجورهن مضاعفة مرتين: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب:٣١].

خمس منهن تزوّجهنّ عليه الصلاة والسلام وأعمارهنّ من الأربعين إلى الستين عامًا، حقّق بذلك رعاية الأرامل وكفالة صبيانهنّ الأيتام.

تزوّج خديجة رضي الله عنها وعمرها أربعون عامًا ولها ثلاثة أولاد من غيره، وهو لم يتزوج بعد، وتزوج زينب بنت خزيمة وهي أرملة ناهزت الستين من عمرها، وتزوج أم سلمة وهي أرملة ولها ستة أولاد، وتزوج سودة وهي أرملة وعمرها خمسة وخمسون عامًا.

تزوّج من الأقارب ببنات عمه وبنات عماته، وتزوّج من الأباعد، وكان لهن زوجًا رحيمًا برًّا كريمًا جميل العشرة معهن دائم البشر متلطفًا معهن، فمن طلب السعادة فليجعل خيرَ البشر قدوةً له، ولتلحَق المسلمة بركاب زوجاته الصالحات، فلا فلاح للمرأة إلا بالاقتفاءِ بمآثرهنّ في السترِ والصلاح والتقوى والإحسان إلى الزّوج والولد.

والحمد لله رب العالمين.



قصة سليمان عليه السلام (٤)

الحمد لله الذي يقصُّ الحق وهو خير الفاصلين، يقضي بعدله بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون، والصلاة والسلام على رسله الكرام الذين جاءوا يهدون الناس إلى الحق وإلى صراط مستقيم. أما بعد:

ففي اللقاء السابق رأينا كيف قام نبيُّ الله سليمان بواجبه في تفقُّد أحوالِ رعيته ومنها الطير حتى افتقد هدهدًا فسأل عنه، ثم جاء الهدهد بعد قليل يحمل نبأ عظيمًا إلى سليمان عن كُفرْ ملكة سبأ وقومها وسجودهم للشمس من دون الله، وبعد أن سمع سليمان عليه السلام من الهدهد أعاده مرّة أخرى إلى ملكة سبأ برسالة:

أولاً مضمون الرسالة:

﴿ اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل:٢٨- ٣١]

ذَهَبَ الهدهد بأمر سليمان حاملاً رسالةً منه عليه السلام وألقاها إلى القوم وتنحى جانبًا يترقب ماذا يفعلون.

تظهر حكمة ملكة سبأ واضحة فهي قدَّرت الموقف تقديرًا سليمًا ثم استشارت قومها قائلة لهم: ﴿ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾، إنها وصفت الكتاب بالكريم فكيف ظهر لها ذلك؟ حكمت عليه بالكريم من طريقين: الأول: كيفية وصول الكتاب إليها. والثاني: من أسلوب الكتاب. أما عن الكيفية فإنها رأت عجبًا اندهشت له فقد جاء الهدهد إلى المكان الذي تختلي فيه بنفسها في داخل قصرها وألقى إليها الكتاب من كُوة هنالك ثم تولى عنها أدبًا وهذا أمر لا يقدر عليه الملوك عادة فعلمت أن الملك الذي أرسل هذا الكتاب له شأن آخر.

والأمر الثاني: أنها لما فتحت الكتاب وقرأت ما فيه وجدته في غاية البلاغة فقد عبَّر عن المقصود بعبارة وجيزة قوية واضحة، فقد بدأ الكتاب بالبسملة ثم أمرهم ونهاهم بأسلوب غاية في السمو والرفعة: ﴿ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾.

فالكتاب من «سليمان» الذي سارت الركبان بخبره ودانت له الدنيا وسليمان لا يدعو إلى نفسه، ولا إلى الانضواء تحت ظل دولته العظمى لا يدعو إلى نظام أرضي ولا إلى مذهب اجتماعي، لكنها دعوة ربانية: ﴿ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾، فالشأن في دعوته باسم الله، وعندما تنطلق جيوشه تغزو باسم الله متوكلة على الله تدعو الناس لله، فهذه طريقة الأنبياء على مر التاريخ وهي دعوة نبينا محمد ﷺ وطريقته في توجيه جيوشه الفاتحة.

روى مسلم في صحيحه من حديث بريدة رضي الله عنه قال: «كان النبيُّ ﷺ إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرًا ثم قال: اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله... الحديث».

وقريب من ذلك ما رواه أبو داود من حديث أنس رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال:

رسالة سليمان عليه السلام إلى ملكة سبأ

«انطلقوا باسم الله، وبالله وعلى ملَّة رسول الله، ولا تقتلوا شيخًا فانيًا ولا طفلاً صغيرًا، ولا امرأة...» الحديث.

وكذلك دعوة سليمان عليه السلام تقوم على النهج نفسه (باسم الله وبالله)، ثم نهاهم سليمان عن العلو عليه والتكبر على دعوته وأمرهم أن يأتوه مستسلمين خاضعين منقادين لله رب العالمين. أسلوب في غاية من الإيجاز والقوة يحمل من يقرؤه على احترامه وتقديره، وهذا الذي وقع في نفس «بلقيس» وعبَّرت عنه لوجهاء قومها وهي تطلب رأيهم ومشورتهم ووصفته بالكتاب الكريم.

ثانيًا تصرفها حيال الرسالة: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢- ٣٥].

يبدو أن هذه الملكة كانت أفضل قومها ولذلك استحقت أن تتملك عليهم، وهي على قدر كبير من الحكمة وسياسة الأمور فلم تشأ التصرُّف في مثل هذا الأمر- لما علمت خطورته- بمفردها بل طلبت من قومها المشورة.

وواضح أن القوم كانوا قليلي الخبرة بالسياسة وجل اهتمامهم بالنواحي العسكرية فقالوا: ﴿نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾، هذا كلامهم ومنطوقهم يدل على حالهم، فقد أوكلوا أمر السياسة للملكة، قال الحسن البصري- رحمه الله- تعليقًا على هذه الآية: فلما قالوا لها ما قالوا كانت هي أحزم رأيًا منهم وأعلم بأمر سليمان وأنه لا قِبَل لهم بجنوده وجيوشه وما سُخر له من الجن والإنس والطير، وقد شاهدت من قضية الكتاب مع الهدهد أمرًا عجيبًا بديعًا، فقالت لهم إني أخشى أن نُحاربه ونمتنع عليه فيقصدنا بجنوده ويهلكنا بمن معه ويخلص إليَّ وإليكم الهلاك والدَّمار دون غيرنا ولهذا قالت: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾. الآية. اهـ من ابن كثير.

ثم اقترحت رأيًا آخر أن ترسل إليه بهدية فإن قبلها فهو ملك كُفُوا شرَّه بالمال أو قاتلوه، وإن لم يقبلها فهو نبيٌ يجب اتباعه، وهنا لطيفة:

*وهي أنَّ ولاية المرأة كانت مستساغة عند القوم وعند غيرهم لكنها في شريعة المسلمين مرفوضة باتفاق أئمة المسلمين، ولا يعتدّ برأي من خالف في ذلك وقد ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما بلغه أن أهل فارس ملكوا عليهم ابنة كسرى قال: «لن يفلح قوم ولَّوا أمرهم امرأة» وهذا الحديث نصٌ صريح في التحذير من تولية المرأة الولايات العامة في الإسلام، وهذا الذي استنكره الإمام الحسن البصري- رحمه الله- في تعليقه السابق على الآية حيث استنكر على القوم حين فوضوا أمرهم إلى «بلقيس» رغم اعترافه بحزمها وحكمتها وأنها أفضل قومها من حيث الحزم والسياسة وليس في موقف الإسلام الرافض تولية المرأة الولاية العامة انتقاص من شأنها ولا استخفاف بدورها في المجتمع أو إهانة لوضعها كما يتشدق بذلك المتشدقون من المتهوكين والمستغربين أتباع كل ناعق، لكن الأمر باختصار يعود لله الذي يعلم من خلق ولماذا خلق، وهو اللطيف الخبير، ولسنا هنا بصدد الحديث عن مكانة المرأة في الإسلام وكيف كرَّمها وزكاها وأعلى قدرها، ولكنها إشارة عابرة جاءت في مكانها، وسنعود لذكر الفوائد المستنبطة من قصة ملكة سبأ بعد تمامها إن شاء الله، وإلى لقاء استودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.

والحمد لله رب العالمين



الإمام القدوة شيخ الإسلام

يزيد بن هارون

إعداد / مجدي عرفات

اسمه ونسبه

هو الإمام شيخ الإسلام أبو خالد يزيد بن هارون بن زاذان السلمي مولاهم الواسطي الحافظ.

مولده: ولد في سنة ثماني عشرة ومائة.

شيوخه: سمع من عاصم الأحول ويحيى بن سعيد الأنصاري وسليمان التيمي وحميد الطويل وبهز بن حكيم وحريز بن عثمان وشعبة بن الحجاج وسعيد بن أبي عروبة وشيبان النحوي وفضيل بن مرزوق وشريك بن عبد الله النخعي وإسماعيل بن عياش وخلق كثير.

تلامذته والرواة عنه:

روى عنه علي بن المديني وأحمد بن حنبل وأبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب والحسن بن عزوز والحسن بن علي الخلال وأبو إسحاق الجوزجاني وعباس الدوري وعبد بن حميد والدارمي ويعقوب الدورقي وغيرهم كثير.

ثناء العلماء عليه:

قال علي بن المديني: ما رأيت أحفظ من يزيد إلا هارون.

وقال يحيى بن يحيى التميمي: هو أحفظ من وكيع.

وقال أحمد بن حنبل: كان يزيد حافظًا متقنًا.

قال الفضيل بن زياد: سمعت أبا عبد الله وقيل له: يزيد بن هارون له فقه؟

قال: نعم ما كان أذكاه وأفهمه وأفطنه.

قال أبو حاتم الرازي: يزيد ثقة إمام لا يسأل عن مثله.

وروى عمرو بن عون، عن هشيم، قال: ما بالمصرين مثل يزيد بن هارون.

قال أحمد بن عبد الله العجلي: يزيد بن هارون ثقة ثبت متعبد حسن الصلاة جدًا يصلي الضحى ست عشرة ركعة بها من الجودة غير قليل.

قال: وكان قد عمي.

قال أحمد بن سنان: كان يزيد وهشيم معروفين بطول صلاة الليل والنهار.

قال أبو بكر بن أبي شيبة: ما رأيت أحدًا أتقن حفظًا من يزيد بن هارون.

وقد كان يزيد رأسًا في السنة

معاديًا للجهمية منكرًا تأويلهم في مسألة الاستواء.

قال محمد بن رافع: سمعت يحيى بن يحيى يقول: كان بالعراق أربعة من الحفاظ: شيخان: يزيد بن زريع، وهشيم، وكهلان: وكيع ويزيد بن هارون ويزيد أفقهما.

روى أبو طالب عن أحمد قال: كان يزيد حافظًا متقنًا للحديث صحيح الحديث عن حجاج بن أرطأة.

وقال ابن معين: ثقة.

قال زياد بن أيوب: ما رأيت ليزيد كتابًا قط، ولا حديثًا إلا حفظًا.

وقال أحمد بن سنان: ما رأيت عالمًا أحسن صلاةً من يزيد بن هارون.

يقوم كأنه أسطوانة. قال الزعفراني: ما رأيت خيرًا من يزيد.

قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث ولد سنة ثمان عشرة ومائة.

قال الذهبي: كان رأسًا في العلم والعمل ثقة حجة كبير الشأن.

قال ابن حجر: ثقة متقن عابد.

من أحواله وأقواله:

قال علي بن شعيب: سمعت يزيد بن هارون يقول: أحفظ أربعة وعشرين ألف حديث بالإسناد ولا فخر وأحفظ للشاميين عشرين ألف حديث لا أسأل عنها.

قال أحمد بن سنان القطان: ما رأيت عالمًا قط أحسن صلاة من يزيد بن هارون لم يكن يفتر من صلاة الليل والنهار.

قال مؤمل بن إهاب: سمعت يزيد بن هارون يقول: ما دلست حديثًا قط إلا حديثًا واحدًا عن عوف الأعرابي فما بورك لي فيه.

قال يحيى بن أبي طالب: سمعت من يزيد ببغداد وكان يقال إن في مجلسه سبعين ألفًا.

قال شاذ بن يحيى إنه سمع يزيد بن هارون يقول: من قال: القرآن مخلوق فهو زنديق.

قال محمد بن عبد الرحيم صاعقة: كان يزيد يخضب خضابًا قانيًا.

أحمد بن أبي خيثمة عن أبيه قال: كان يعاب على يزيد حيث ذهب بصره ربما سئل عن حديث لا يعرفه فيأمر جارية له تحفظه إياه من كتابه.

قال الذهبي: ما بهذا الفعل بأس من أمانة من يلقنه ويزيد حجة.

قال أحمد بن خالد يقول: سمعت يزيد بن هارون يقول: سمعت حديث الصور مرة فحفظته، وأحفظ عشرين ألفًا فمن شاء فليدخل فيها حرفًا.

قال الحسن بن عرفة ليزيد: ما فعلت تلك العينان الجميلتان؟ قال: ذهب بهما بكاء الأسحار.

قال ابن المقرئ: سمعت ابن قتيبة سمعت مؤمل بن يهاب سمعت يزيد بن هارون يقول: اللهم لا تجعلنا من الثقلاء.

وقال: سمعت أحمد بن عمرو بن جابر الرملي سمعت الحارث بن أبي أسامة يقول كان يزيد بن هارون إذا جاءه من فاته المجلس قال يا غلام ناوله المنديل (يعني: حتى يبكي على ما فاته من العلم).

وقال الطبراني: حدثنا المعمري سمعت خلف بن سالم يقول: كنا في مجلس يزيد بن هارون فمزح مع مستمليه فتنحنح أحمد بن حنبل فقال يزيد: من المتنحنح؟ فقيل له: أحمد بن حنبل فضرب يزيد على جبينه وقال: ألا أعلمتموني أن أحمد هاهنا حتى لا أمزح.

وفاته:

توفي يزيد بن هارون في خلافة المأمون وهو ابن تسع أو ثمان وثمانين وأشهر- يعني سنة ست ومائتين رحمه الله.

المراجع: سير أعلام النبلاء. تهذيب التهذيب- تقريب التهذيب.

من نور كتاب الله

آيات بينات في إبطال دعاء الأموات

﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ، أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ، إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾

[النحل: ٢٠-٢٢]

من هدي رسول الله ﷺ

(من أثباب دوام الحسنات بعد الممات)

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: إن مما يلحق المؤمن من عمله و حسناته بعد موته علمًا نشره، و ولدًا صالحًا تركه، و مصحفًا ورثه، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته و حياته تلحقه من بعد موته.

[حسنه الألباني في صحيح الجامع]

من دلائل نبوته ﷺ

إخباره عن فتح مصر

عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: إنكم ستفتحون مصر و هي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فاستوصوا بأهلها خيرًا فإن لهم ذمةً و رحمًا، فإذا رأيت رجلين يختصمان في موضع لبنة فاخرج منها. [صحيح مسلم]

من فضائل الصحابة

الحرص على طلب العلم

عن الأعرج ، قال: سمعت أبا هريرة يقول: إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ ، والله الموعد، كنت رجلاً مسكيناً، أخدم رسول الله ﷺ على ملء بطني، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم، وقال رسول الله ﷺ «من يبسط ثوبه فلن ينسى شيئاً سمعه مني» فبسطت ثوبي حتى قضى حديثه، ثم ضممته إلي، فما نسيت شيئاً سمعته منه. [صحيح مسلم]

من درر التفسير

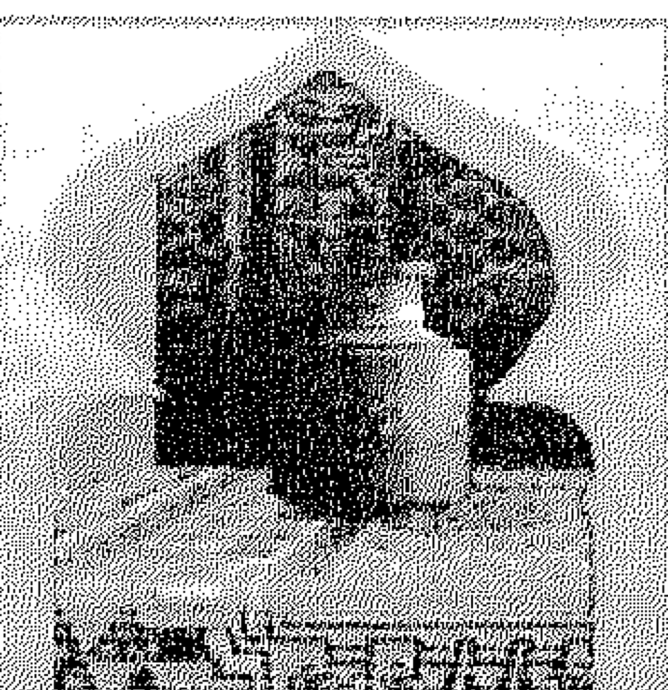
علموا أولادكم التوحيد أولا

قال تعالى على لسان لقمان الحكيم وهو يوصي ابنه ويعلمه التوحيد ويحذره من الشرك: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ قال ابن كثير: يقول تعالى مخبرًا عن وصية لقمان لولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف ولهذا أوصاه أولاً بأن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا ثم قال محذرًا له "إن الشرك لظلم عظيم" أي هو أعظم الظلم، ثم قرن بوصيته إياه بعبادة الله وحده البر بالوالدين كما قال تعالى "وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا" وكثيرا ما يقرن تعالى بين ذلك في القرآن. [تفسير ابن كثير]

من جوامع الدعاء

عن أبي موسى الأشعري ، عن النبي ﷺ، أنه كان يدعو بهذا الدعاء: اللهم ! اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم ! اغفر لي جدي وهزلي، وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي، اللهم ! اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير.

[صحيح مسلم]





عن سفيان قال: كان عمر بن عبد العزيز ساكتًا وأصحابه يتحدثون، فقالوا: مالك لا تتكلم يا أمير المؤمنين، قال: كنت مفكرًا في أهل الجنة كيف يتزاورون فيها، وفي أهل النار كيف يصطرخون فيها، ثم بكى.

[التخويف من النار]

عن الفضيل بن عياض قال: إن خفت الله لم يضرك أحدٌ، وإن خفت غير الله لم ينفعك أحد.

[شعب الإيمان]

عن يحيى بن أبي كثير رحمه الله، قال: خصلتان إذا رأيتهما في الرجل، فاعلم أن ما وراءهما

خير منهما: إذا كان حابسًا للسانه، يحافظ على صلاته.

[ذم الكذب ابن أبي الدنيا]

انظروا عمن تأخذون دينكم !

عن ابن أبي يونس: سمعت مالكًا يقول: إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذونه. لقد أدركت في المسجد سبعين ممن يقول: قال فلان، قال رسول الله، وإن أحدهم لو ائتمن على بيت مال، لكان به أمينًا. فما أخذت منهم شيئًا، لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن، ويقدم علينا الزهري وهو شاب فنزدحم على بابه.

تنويه: لم يقصد بهذا الأثر «المال» كما جاء في عدد ربيع أول و جماد أول، بل المقصود أنه لا يأخذ العلم إلا من أهله المعروفين به المتخصصين فيه، لا عن الوعاظ أو القصاص.

[سير أعلام النبلاء ٥/٣٤٣]

أربع من كمال المسلم ؟!

قال الحسن: أربع من كن فيه كان كاملًا، ومن تعلق بواحدة منهن كان من صالحي قومه: دين يرشده، وعقل يسدده، وحسب يصونه، وحياء يقوده. [الآداب الشرعية]

من أخلاق السلف

عن أحمد بن إبراهيم الدورقي أن الليث بن سعد، جاءته امرأة تسأله عسلًا و معها قدح و قالت: زوجي مريض فقال: أعطوها راوية عسل فقالوا: يا أبا الحارث سألتْ قدحًا قال: سألتْ على قدرها و نعطيها على قدرنا.

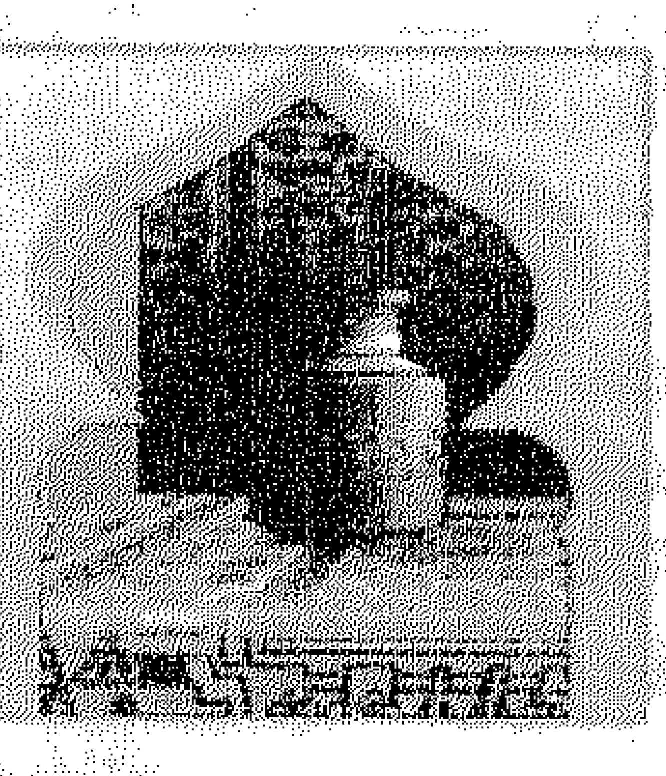
[شعب الإيمان]

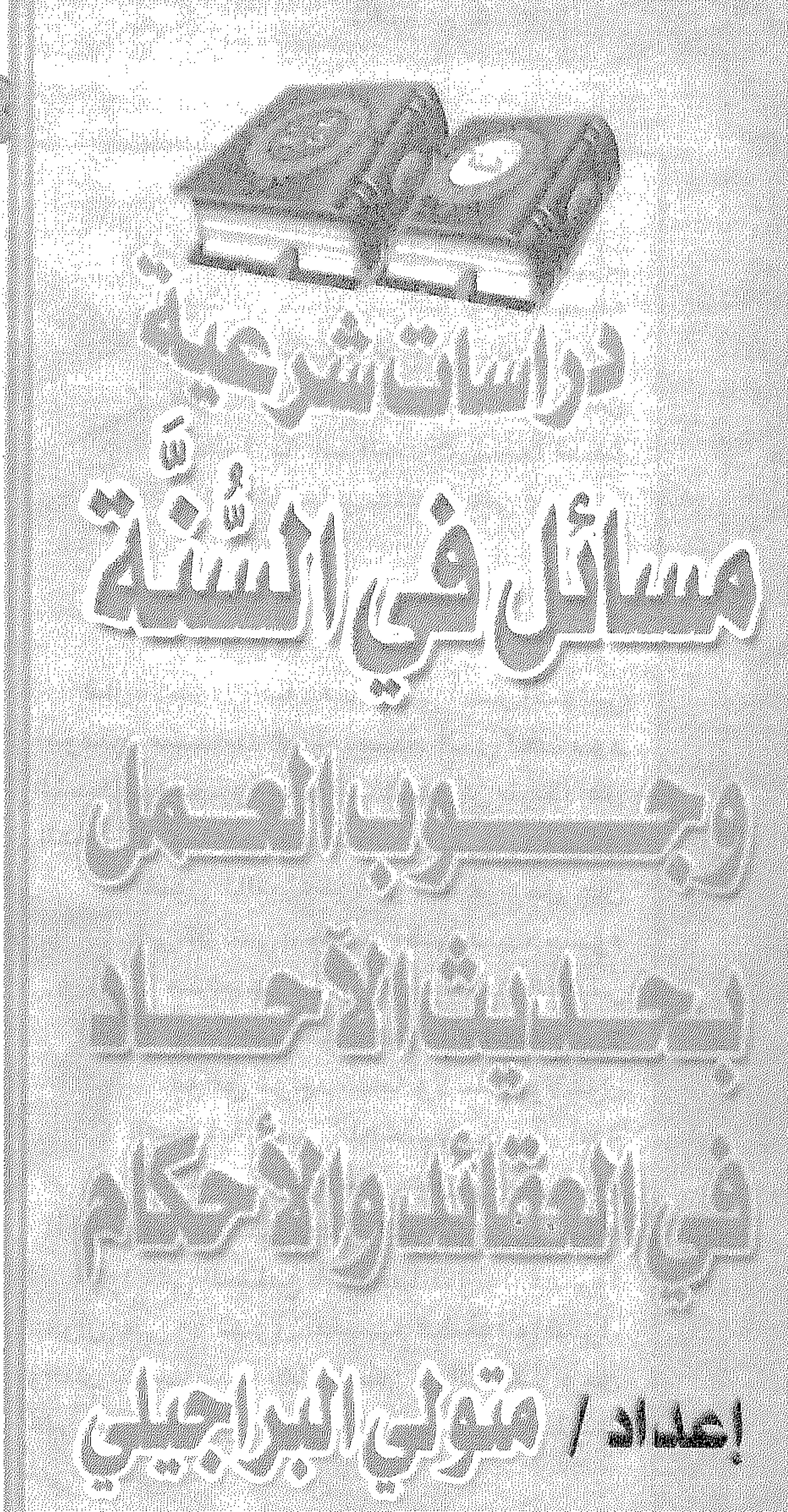
فساد قول الحلولية

قال الآجري: أما بعد: فإني أُحَذِّر إخواني المؤمنين مذهب الحلولية: الذي لعب بهم الشيطان، فخرجوا بسوء مذهبهم عن طريق أهل العلم، إلى مذاهب قبيحة لا تكون إلا في كل مفتون هالك.زعموا أن الله عز وجل حالٌّ في كل شيء، حتى أخرجهم سوء مذهبهم إلى أن تكلموا في الله عز وجل بما تنكره العلماء العقلاء، لا يوافق قولهم كتابًا ولا سنةً، ولا قول الصحابة رضي الله عنهم، ولا قول أئمة المسلمين، وإني لأستوحش أن أذكر قبيح أفعالهم تنزيهًا مني لجلال الله الكريم وعظمته، فلبَّسوا على السامع منهم بما تأولوا، فسروا القرآن على ما تهوى أنفسهم فضلوا وأضلوا. والذي يذهب إليه أهل العلم: أن الله عز وجل على عرشه فوق سمواته، وعلمه محيط بكل شيء. [الشريعة]

احذر أن تقع في هذه المواقف..!

قيل: ثمانية إن أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم: الجالس في مجلس ليس له بأهل، والمقبل بحديثه على من لا يسمعه، والداخل بين اثنين في حديثهما ولم يدخلاه فيه، والمتعرض لما لا يعنيه، والمتأمر على رب البيت في بيته، والآتي إلى مائدة بلا دعوة، وطالب الخير من أعدائه، والمستخف بقدر السلطان.





الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد ظهرت عند بعض علماء الكلام المسلمين منذ قرون طويلة فكرة خاطئة، ورأي خطير ، وهو قولهم : إن حديث الآحاد ليس بحجة في العقائد الإسلامية ، وإن كان حجة في الأحكام الشرعية .

وقد أخذ بهذا الرأي عدد من علماء الأصول المتأخرين ، وتبناه حديثًا طائفة من الكُتَّاب والدعاة المسلمين ، حتى صار عند بعضهم أمرًا بدهيًا لا يحتمل البحث والنقاش! وغلا بعضهم فقال : إنه لا يجوز أن تُبنى عليه عقيدة أصلاً ، ومن فعل ذلك فهو فاسق وآثم!!

وقد كتب في الرد على هذا الرأي الشاذ كثير من علماء الإسلام والحديث قديمًا وحديثًا ، ومن أهم الردود ما كتبه العلامة الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - في كتاب «الصواعق المرسلة» والإمام الكبير ابن حزم - رحمه الله تعالى - في كتابه القيم «الإحكام في أصول الأحكام».

[وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة.. الشيخ الألباني]

-والتفريق بين أحاديث الأحكام والعقائد أمر حادث فهو بدعة في دين الله، لأن هذا الفرق لا يعرف عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم ولا عن أحد من التابعين ولا عن تابعيهم ، ولا عن أحد من أئمة الإسلام ، وإنما يعرف عن رؤوس أهل البدع ومن تبعهم . [مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ، معالم أصول الفقه للجيزاني]

- وقبل أن نعرِّف حديث الآحاد ، لابد أن نعرف أولاً الحديث المتواتر والفرق بينه وبين حديث الآحاد.

أولاً : تعريف الحديث المتواتر والآحاد

ينقسم الحديث من ناحية عدد رواته الذين رووه إلينا إلى قسمين :

١- ما كان له طرق «أسانيد» بلا حصر عدد معين وهو المتواتر.

٢- ما كان له طرق (أسانيد) محصورة بعدد معين فهو الآحاد .

وعلى ذلك فالحديث المتواتر هو ما رواه عدد كثير تحيل العادة تواطؤهم على الكذب، وقد اختلفوا، في هذا العدد على أقوال كثيرة، فمنهم من عينه في الأربعة ، وقيل في الخمسة وقيل في السبعة ورجح بعضهم أن العدد عشرة، وقيل غير ذلك حتى السبعين، بل أوصله بعضهم إلى ثلاثمائة وبضعة عشر. [تدريب الراوي].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : والصحيح الذي عليه الجمهور أن التواتر ليس له عدد محصور. [الفتاوى ١٨/٥]

وكذا قال الحافظ ابن حجر : فلا معنى لتعيين العدد على الصحيح . [نزهة النظر]

وبهذا قال أيضًا في فتح الباري : ولا يشترط فيه العدد المعين. وقال الألباني في تعليقه على نزهة النظر : وهذا هو المعتمد، ولا دليل على شيء من تلك الأعداد. [النكت على نزهة النظر: علي حسن عبد الحميد الحلبي]

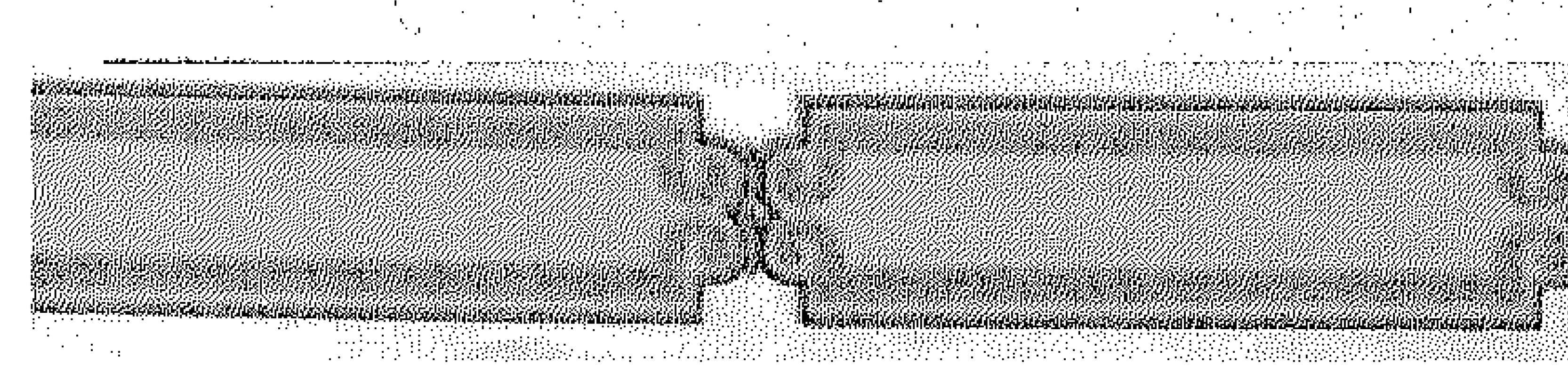
وكذلك قال ابن عثيمين في شرحه لنزهة النظر: إن المتواتر ليس له عدد معين.

وللحديث المتواتر شروط أربعة :

١- عدد كثير أحالت العادة تواطؤهم وتوافقهم على الكذب .

٢- رووا ذلك عن مثلهم من الابتداء إلى الانتهاء.

٣- وكان مستند انتهائهم الحِسّ.



- وانضاف إلى ذلك أن يصحب خبرهم إفادة العلم لسامعه.

أما بالنسبة للشرط الأول ، فرأينا أن الراجح عدم حصر الرواة في عدد معين.

والشرط الثاني معناه : أن لا ينقص العدد المطلوب في طبقة من طبقات السند من أول السند إلى آخره ، فلو أن الحديث رواه جمع في كل الطبقات ثم رواه اثنان مثلاً في إحدى الطبقات ما صار بذلك متواترًا ، فالحديث ينسب إلى أقل طبقة من طبقات السند.

والشرط الثالث أن لا يكون مستندهم فيما رووه مجرد الظن أو الفهم لحادثة وقعت، أو الاستنباط لقرينة وردت ، كما في حادثة إيلاء النبي ﷺ من أزواجه، فقد توهم بعض الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - أن النبي ﷺ قد طلّق أزواجه ، ظنًا منه بذلك لاعتزال النبي ﷺ لهن، ومنهم من أخبر عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- بذلك ، وهذا الإخبار لم يكن اعتماده على الحسِّ ، بل كان اعتماده على العقل الصِّرف، ومجرد الظن ، أما إذا كان ورد عن النبي ﷺ ما يثبت ذلك، من قول أو فعل أو تقرير ، لكان انتهاؤهم في ذلك الحس . [التعليق على نزهة النظر- عمرو عبد المنعم، شرح نزهة النظر لابن عثيمين ، النكت لعلي حسن]

والشرط الرابع أن يصحب خبرهم إفادة العلم لسامعه ، وهو العلم الضروري الذي يضطر الإنسان إليه بحيث لا يمكنه دفعه ولا يحتاج إلى استدلال ، والعلم الضروري يحصل لكل سامع يسمعه .

قسما المتواتر من ناحية المتن :

ينقسم المتواتر باعتبار متنه إلى قسمين:

الأول : المتواتر اللفظي : وهو ما اتفق فيه الرواة على اللفظ والمعنى ، كحديث النبي ﷺ : «من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار». [متفق عليه]

قال ابن الصلاح : رواه اثنان وستون من الصحابة ، وقال غيره : رواه أكثر من مائة نفس، وفي شرح مسلم رواه نحو مائتين. قال العراقي : وليس في هذا المتن بعينه، ولكنه في مطلق الكذب ، والخاص بهذا المتن رواية بضعة وسبعين صحابيًا. [تدريب الراوي]

الثاني : المتواتر المعنوي : وهو ما اتفق رواته على معناه دون ألفاظه، فيتواترون على قدر مشترك بينهم ، كما إذا نقل رجل عن حاتم مثلاً أنه أعطى جملاً، وآخر أنه أعطى فرسًا ، وآخر أنه أعطى دينارًا، وهلم جرا ، فيتواتر القدر المشترك بين أخبارهم ، وهو الإعطاء ، لأن وجوده مشترك من جميع هذه القضايا ، كحديث رفع اليدين في الدعاء ، فقد ورد عنه ﷺ نحو مائة حديث ، فيه رفع يديه في الدعاء في قضايا مختلفة ، فكل قضية منها لم تتواتر ، والقدر المشترك فيها وهو الرفع عند الدعاء تواتر باعتبار المجموع. [تدريب الراوي بتصرف]

-وللمتواتر أقسام أخرى فليرجع إليها في مظانِّها .

والمتواتر من الحديث يفيد العلم ويوجب العمل، والعبرة في التواتر بأهل العلم والحديث والأثر ، كما قرَّر ذلك ابن تيمية وابن القيم (وغيرهما). [معالم أصول الفقه للجيزاني]

•هل المتواتر قليل كما يزعمون ؟:

يقول الحافظ ابن حجر في نزهة النظر تعقيبًا على قول ابن الصلاح على أن المتواتر يعزُّ وجوده : وما ادَّعاه من العزة ممنوع، وكذا ما ادعاه غيره من العدم ، لأن ذلك نشأ عن قلة الاطِّلاع على كثرة الطرق ، وأحوال الرجال ، وصفاتهم المقتضية لإبعاد العادة أن يتواطؤوا على كذب ، أو يحصل منهم اتفاقًا، ومن أحسن ما يُقرر به كون المتواتر موجودًا وجود كثرة في الأحاديث؛ أن الكتب المشهورة المتداولة بأيدي أهل العلم شرقًا وغربًا المقطوع عندهم بصحة نسبتها إلى مصنِّفها إذا اجتمعت على إخراج حديث ، وتعددت طرقه تعددًا تحيل العادة تواطؤهم على الكذب إلى آخر الشروط ، أفاد العلم اليقيني بصحته إلى قائله . ومثل ذلك في الكتب المشهورة كثير.

[نزهة النظر - فتاوى ابن تيمية ٣٦/١٨، ٣٧]

يقول ابن عثيمين في تعليقه على هذا في النزهة بشرحه : ولكن الصحيح أنه موجود (أي المتواتر) وأنه بكثرة في المتواتر المعنوي ، بخلاف المتواتر اللفظي فهو قليل، لكن المتواتر المعنوي كثير .

حديث الآحاد

وهو الحديث الذي يقل عدد رواته عن العدد الذي يحقق التواتر ، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : المشهور : وهو ما رواه ثلاثة في أقل طبقة من طبقات السند .

فائدة : هناك فارق بين المشهور الذي هو أحد أقسام حديث الآحاد ، وبين المشهور غير الاصطلاحي وهو ما اشتهر على ألسنة الناس ، فقد يكون مشهورًا بين الناس وهو ضعيف مثل حديث : من لم تُنهه صلاته عن الفحشاء لم يزدد من الله إلاَّ بعدًا .

أو موضوع مثل : ائتوا المساجد حسَّرًا ومعصبيِّن ، فإن العمائم تيجان المسلمين.

أو حديث : حب الوطن من الإيمان. «موضوع» .

أو حديث : خير الأسماء ما حُمِّد وعبِّد. «لا أصل له». أو حديث : يوم

صومكم يوم نحركم. «لا أصل له».

أو حديث: للسائل حق وإن جاء على فرس. «لا أصل له»، ومعنى لا أصل له: يعني لا إسناد له. «قاله ابن تيمية رحمه الله».

أو حديث: الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهائم الحشيش. «لا أصل له».

ومما اشتهر على ألسنة الوعاظ والكتاب حديث: الخير فيَّ وفي أمتي إلى يوم القيامة. وهو حديث لا يعرف، كما قال الحافظ ابن حجر فيما نقله تلميذه السخاوي في «المقاصد الحسنة»، وقال الشيخ الألباني في «الضعيفة»: لا أصل له. [فتاوى ابن تيمية، شرح البيقونية: مصطفى سلامة، تيسير مصطلح الحديث للطحان، شرح البيقونية لابن عثيمين، نكت علي حسن الحلبي على نزهة النظر، السلسلة الضعيفة]

القسم الثاني: العزيز: وهو ما رواه اثنان في أقل طبقة من طبقات السند.

القسم الثالث: الغريب: وهو ما رواه واحد في أقل طبقة من طبقات السند.

حكم العمل بحديث الآحاد

حديث الآحاد إذا تحققت فيه شروط الصحيح وجب العمل به، لا فرق في ذلك بين العقائد والأحكام، فهو يوجب العلم والعمل جميعًا.

يقول الإمام الشافعي في «الرسالة»: ولو جاز لأحد من الناس أن يقول في علم الخاصة: أجمع المسلمون قديمًا وحديثًا على تثبيت خبر الواحد والانتهاء إليه بأنه لم يُعلم من فقهاء المسلمين أحد إلا وقد ثبته جاز لي.

وقال الخطيب البغدادي: وعلى العمل بخبر الواحد كان كافة التابعين، ومن بعدهم من الفقهاء الخالفين في سائر أمصار المسلمين إلى وقتنا هذا، ولم يبلغنا عن أحد منهم إنكارٌ لذلك ولا اعتراض عليه.[معالم أصول الفقه للجيزاني]

وقال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي: وخبر الواحد - إذا تلقته الأمة بالقبول - يوجب العلم والعمل، سواءً عمل به الكل أو البعض.

[وجوب الأخذ بحديث الآحاد، للألباني]

وقال ابن عبد البر: ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصًا في كتاب الله، أو صحَّ عن رسول الله ﷺ أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له ولا يناظر فيه.

[جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر]

وقال ابن حزم: والحق أن خبر الواحد العدل عن مثله إلى رسول الله ﷺ يوجب العلم والعمل معًا.

[النكت على نزهة النظر لعلي حسن الحلبي]

يقول الشيخ ابن عثيمين: وهل يحتج بأخبار الآحاد في باب العلميات؟ لأنكم كما تعرفون الدين علم وعمل، باب العلميات الذي هو باب الاعتقاد، هل يحتجُّ بأقوال الآحاد فيها؟

الصواب - بلا شك - أنه يحتج بها، وأي احتجاج لا سيما فيما تلقته الأمة بالقبول فإنه يحتج به، ولو أننا ألغينا الاحتجاج بالآحاد في باب العلميات التي هي «العقائد» لفاتنا شيء كثير من الأمور التي يجب علينا اعتقادها.

ثم إننا نقول لهؤلاء المفرِّقين بين العلميات والعمليات: إن العمليات لابدَّ أن يسبقها اعتقاد، ما هو الاعتقاد الذي يسبقها؟ اعتقاد أن الله شرع، لأنك ما تفعل هذا الأمر إلا بعد أن تعتقد أن الله شرعه، ثم تعمله، فحتى العمليات لابد فيها من عقيدة، وعلى هذا فالصواب ما ذكر المؤلف (ابن حجر) عند الجمهور أنه يجب العمل بالمقبول سواء كان ذلك في الأمور العلميات (العقائد) أو في الأمور العمليات (الأحكام).

[شرح نزهة النظر لابن عثيمين]

أدلة حجية خبر الآحاد في الأحكام والعقيدة

أولاً: القرآن: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦].

فلفظ «أمرًا» نكرة في سياق الشرط فهي تفيد العموم، أي عموم ما جاء به رسول الله ﷺ سواءً كانت في الأحكام أو العقيدة، وقصر لفظ «أمرًا» على الأحكام العملية دون العقيدة تخصيص بدون مخصص.

قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧].

لفظ: «ما» من صيغ العموم فيشمل كل ما جاء به النبي ﷺ ومن جملته العقيدة.

-قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦].

فمنطوق الآية وجوب التبين من خبر الفاسق قبل قبوله أو رده، ومفهوم المخالفة المسمى بدليل الخطاب وجوب قبول خبر الواحد إذا كان عدلاً.

-قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

هذه الطائفة المعنية في الآية المطلوب منها تعلم كل الدين «ليتفقهوا في الدين»، والدين يشمل الأحكام العملية والعقيدة، بل يبدأ بالعقيدة - قبل الأحكام العملية - والطائفة يُطلق على الفرد كما يُطلق على الجماعة، قال ابن الأثير في النهاية: الطائفة الجماعة من الناس وتقع على الواحد.

وقال ابن حجر في الفتح: إن لفظ طائفة

يتناول الواحد فما فوق ، ولا يختص بعدد معين ، وهو منقول عن ابن عباس وغيره كالنخعي ومجاهد .

وقال البخاري في باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق ... ويسمى الرجل طائفة ، لقوله تعالى : ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ [الحجرات: ٩] .

فلو اقتتل رجلان دخلا في معنى الآية.

ثانيًا: السنة:

١- حديث أنس رضي الله عنه أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا : ابعث معنا رجلاً يعلمنا السنة والإسلام ، فأخذ بيد أبي عبيدة ، فقال : هذا أمين هذه الأمة . [متفق عليه]

ووجه الاستدلال في إرسال أبي عبيدة وهو فرد واحد ليعلمهم العقائد والأحكام بالطبع، ولو لم يكن خبره حجة على المرسل إليهم ما أرسله رسول الله ﷺ .

٢- حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - لما بعث النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن ليعلمهم دينهم. [والحديث أصله في البخاري ومسلم]

٣- حديث ابن عمر - رضي الله عنهما ، لما استدار الناس في قباء بعد تحويل القبلة أثناء صلاتهم الصبح أخذًا بقول واحد صلى مع رسول الله ﷺ إلى الكعبة. [والحديث أصله متفق عليه]

ثالثًا: فعل الصحابة:

قبول عمر بن الخطاب رضي الله عنه خبر عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في شأن الطاعون عندما كان يريد دخول الشام واختلف الصحابة هل يدخلها أم لا، وقبل عمر خبر عبد الرحمن ولم يدخلها. [والحديث أصله متفق عليه]

-إلى غير ذلك من الأدلة الكثيرة والوقائع التي كان الصحابة يأخذون فيها بالحديث الذي يرويه الآحاد ، دون تفرقة في القبول بين ما يرويه جمع أو قلة .

نتيجة رد أحاديث الآحاد وعدم العمل بها في العقيدة

قال الشيخ الألباني رحمه الله في كتابه «وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين» في الوجه العشرين: فمن شاء من المسلمين أن يعرف ثمرة ذلك القول الباطل؛ أن العقيدة لا تثبت بحديث الآحاد، فليتأمل فيما سنسوقه من العقائد الإسلامية التي تلقاها الخلف عن السلف، وجاءت الأحاديث متضافرة متوافرة شاهدة عليها، وحينئذٍ يتبين له خطورة ذلك القول الذي تبناه المخالفون دون أن يشعروا بما يؤدي إليه من الضلال البعيد من إنكار ما عليه المسلمون من العقائد الصحيحة ، وهاك ما يحضرني منها :

١- نبوة آدم عليه السلام ، وغيره من الأنبياء الذين لم يذكروا في القرآن. ٢- أفضلية نبينا محمد ﷺ على جميع الأنبياء والرسل. ٣- شفاعته ﷺ العظمى في المحشر. ٤- شفاعته ﷺ لأهل الكبائر من أمته .. ٥- معجزاته ﷺ كلها، ما عدا القرآن، ومنها معجزة انشقاق القمر، فإنها مع ذكرها في القرآن تأولوها بما ينافي الأحاديث الصحيحة .

٦- صفاته ﷺ البدنية وبعض شمائله الخُلُقية.

٧- الأحاديث التي تتحدث عن بدء الخلق وصفة الملائكة ، والجن ، والجنة، والنار، وأنهما مخلوقتان، وأن الحجر الأسود من الجنة .

٨- خصوصياته التي جمعها السيوطي في كتاب «الخصائص الكبرى». ٩- القطع بأن العشرة المبشرين بالجنة من أهل الجنة . ١٠- الإيمان بسؤال منكر ونكير في القبر. ١١- الإيمان بعذاب القبر . ١٢- الإيمان بضغطة القبر . ١٣- الإيمان بالميزان ذي الكفتين يوم القيامة . ١٤- الإيمان بالصراط . ١٥- الإيمان بحوضه ﷺ وأن من يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا .

١٦- دخول سبعين ألفًا من أمته الجنة بغير حساب . ١٧- سؤال الأنبياء في المحشر عن التبليغ. ١٨- الإيمان بكل ما صح في الحديث عن صفة القيامة والحشر والنشر. ١٩- الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره، وأن الله تعالى كتب على كل إنسان سعادته أو شقاوته ورزقه وعمله.

٢٠- الإيمان بالقلم الذي كتب كل شيء.

٢١- الإيمان بأن القرآن كلام الله حقيقة لا مجازًا. ٢٢- الإيمان بالعرش والكرسي حقيقة لا مجازًا . ٢٣- الإيمان بأن أهل الكبائر لا يخلدون في النار . ٢٤- وأن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر في الجنة . ٢٥- وأن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء . ٢٦- وأن لله ملائكة سياحين يبلغون النبي ﷺ سلام أمته عليه.

٢٧- الإيمان بمجموع أشراط الساعة، كخروج المهدي ، ونزول عيسى عليه السلام ، وخروج الدجال . ٢٨- وأن المسلمين يفترقون على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة.

٢٩- الإيمان بجميع أسماء الله الحسنى، وصفاته العليا ، مما جاء في السنة الصحيحة.

٣٠- الإيمان بعروجه ﷺ إلى السماوات العلى.

وقد أردت أن أبين مغبة بدعية القول برد حديث الآحاد في العقيدة لذا سقت الثلاثين بتمامها ، وهي تبلغ المئات ، وما أظن أحدًا من المسلمين يجرؤ على إنكارها ، أو التشكيك فيها ، وإن كان ذلك يلزم الذين لا يثبتون العقيدة بحديث الآحاد.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

الشريعة والحقيقة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فإن من الأصول المبتدعة عند الصوفية تقسيم الدين إلى شريعة وحقيقة، والعلم إلى ظاهر وباطن، ويزعمون كذلك أن الشريعة في الحقيقة ما هي إلا قشر وأن الحقيقة منتهى الكمال والرقي في سلم التعبد وسبيل الوصول إلى العلم اللدني والكشف الرباني والفيض الرحماني فهم يعتقدون أن رسول الله ﷺ بلَّغ الظاهر لجميع المسلمين بينما الباطن قد خص به أناسًا معينين.

وحقيقة هذا الأمر- كما تزعم الصوفية على لسان ابن عجيبة يقول: «وأما واضع هذا العلم- يعني الصوفية- فهو النبي ﷺ، علمه الله بالوحي والإلهام، فنزل جبريل أولاً بالشريعة، فلما تقرر، نزل ثانيًا بالحقيقة، فخص بها بعضًا دون بعض، وأول من تكلم فيه، وأظهره سيدنا علي- كرم الله وجهه- وأخذه عنه الحسن البصري». [إيقاظ الهمم- لابن عجيبة]

وإنها لفرية جائرة الإفك وكذب متعمَّد على رسول الله ﷺ، واتهام له بجريمة ملعونة، جريمة كتمان العلم، وأي علم؟ إنه علم الحقيقة في دين الصوفية؟!

أَفَيَكْتُم الرسول الحق وعلمه ودلائله وقد توعد كاتم العلم بعقاب شديد من الله: «من كتم علمًا عن أهله، أُلجِم يوم القيامة لجامًا من نار».

[صحيح الجامع: ٦٥١٧]

ثم وراء هذا البهتان إتهام صريح لأبي بكر وعمر وعثمان، ومعهم خيار الصحابة من السابقين، بأنهم كانوا على ضلالة وجهالة، وكذلك محاولة تجريد الجماعة المسلمة من خيار سَلَفها وخيار خَلَفها من صفة الإيمان الحق، وحسب الصوفية أن تبوء هي وحدها بما تبهت به الصديقين والشهداء.

[هذه هي الصوفية ص٣٣]

من لم يعرف الحقيقة عند الصوفية فهو زنديق!!

لم يقف الأمر عند هذا الحد، بل بلغ السيل الزبى ووصل البلاء مداه فقد ذهب الصوفية إلى أنه من لم يعرف الحقيقة فهو زنديق فقالوا: «في الحِكَم» من تَشَرَّع ولم يتحقق فقد تزندق، ومن تحقق ولم يتشرع فقد تفسق. وبما أن الشريعة تخالف الحقيقة في مخبرها وجوهرها فلا يعاب على العصاة منهم المخالفين لظاهر الشريعة، وقد أنشد واحد منهم قائلاً:

وإن كنت في عالم الشريعة عاصيًا
فأنا في عالم الحقيقة طائع

وأحيانًا يعبر عن هذه القضية باسم «الظاهر والباطن» ويعتقدون أن للقرآن ظاهرًا وباطنًا كما هو معروف في تفسير ابن عربي النكرة. «التفسير الباطني للقرآن الكريم».

ويعنون بالظاهر: الإسلام المتمثل في نصوص الوحي، ويعنون بالباطن: التصوف الذي يتفلت من أي قاعدة أو قانون وإنما ينطلق حسب قاعدة باطن كل متصوف، وحسبما يحس به من المواجيد، وأحيانًا يقول: «حدثني قلبي عن ربي بكذا وكذا» أو أنه يعصي باسم اطلاعه على اللوح المحفوظ فيقول جهلة الصوفية- يسوغون فجورهم ومروقهم من الشريعة-: إننا متحققون لا متشرعون.

وقولهم: إننا سابحون في بحار الشطحات، ثملون بخمرة الغيبة، ومن كان هذا شأنه لا يسأل عن صلاة ولا صوم لأن التكليف رفع عنه.

[التصوف في الميزان د/ مصطفى غلوش ص١٥٢- ١٥٣ بتصرف]

أهداف خبيثة

والذي لا شك فيه أن للقوم من وراء وضع هذا الأصل أهدافًا يهدفون إليها ويريدون تحقيقها والوصول إليها، وهي تتلخص في النقاط الآتية:

١- تحويل أمة الإسلام إلى أمة سلبية، لا تأمر بمعروف ولا تنهى عن منكر، تعيش على التزهد والاتكال حتى تبيد وتفنى، وهذا الهدف الرئيسي الذي من أجله وضع التصوف، وشارك في وضعه ونشره والدعوة إليه أكبر خصوم الإسلام وأعدائه من زنادقة اليهود وساعدهم على ذلك أغرار المسلمين وجهالهم مع شديد الأسف.

٢- استباحة المحرمات وغشيان كبائر الإثم والفواحش وبخاصة المشائخ من رؤساء الطرق تسترًا تحت شعار قولهم: الحقيقة غير الشريعة، إذ يجوز لصاحب الحقيقة ما لا يجوز لصاحب الشريعة في حكمهم وما تقتضيه أصولهم.

٣- صرف المسلمين عن العلوم الشرعية وتزهيدهم فيها، وشغلهم بما يسمونه بالعلوم الباطنية الخيالية، ويدل على صحة هذا قول الجنيد، وهو إمام المتصوفة في زمانه: أحب للمبتدئ- المريد- أن لا يشغل قلبه بهذه الثلاث وإلا تغير حاله:



الكسب، وطلب الحديث،
وأحب أن لا يقرأ ولا يكتب لأنه أجمع لهمه.اهـ.
فما معنى لا يقرأ ولا يكتب؟

أنه لا يتعلم، فإذا لم يتعلم فكيف يعبد الله تعالى عبادة تزكي نفسه وتؤهله لولاية الله تعالى، كأنهم يقولون إن المريد ليس في حاجة إلى العلم ولا إلى العبادة، إذًا يكفيه الذكر والأوراد يلازمها حتى يصبح من أهل الكشف والعلم اللدني، وبذلك يستغني بعلم الباطن عن العلم الظاهر، وبعلم الحقيقة عن الشريعة. [إلى التصوف يا عباد الله: ص٣٢- ٣٣]

هل في قصة الخضر مع موسى مستند للصوفية على باطلهم؟

إن فهم السلف لنصوص الكتاب والسنة هو الميزان الذي يفرق بين الحق والباطل وهو العاصم من الفتن وهو طريق النجاة في الدنيا والآخرة، وقد خالف الصوفية هذا الأصل وبنوا على قصة موسى والخضر قاعدة الشريعة والحقيقة المزعومة وما أوقعهم في ذلك إلا فهمهم الفاسد للنصوص فهل في القصة مستند للقوم على باطلهم.

أخرج البخاري عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل، فسُئل: أي الناس أعلم؟ قال: أنا أعلم، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى إليه: إن لي عبدًا بمجمع البحرين وهو أعلم منك، قال موسى: أي رب! وكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتًا فتجعله بمكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثَمَّ، فأخذ حوته فجعله بمكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون عليه السلام حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما، واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربًا، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغداة قال موسى لفتاه: ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾، ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به، قال له فتاه: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾، قال: فكان للحوت سربًا ولموسى وفتاه عجبًا، فقال: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾، قال: فرجعا يقصان أثرهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى، فقال الخضر: وأنى بأرضي السلام؟ فقال: أنا موسى، فقال: موسى نبي بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال: أتيتك لتعلمني مما علمت رشدًا، ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ يا موسى إني على علم من الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه.

فقال الخضر: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول، فلما ركبا السفينة لم يفاجئا إلا والخضر قد قلع لوحًا من ألواح السفينة بالقدوم فقال له موسى: قد حملونا بغير نول «أجر» فعهدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها؟ ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾، قال: وقال رسول الله ﷺ: «فكانت الأولى من موسى نسيانًا»، قال: وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة أو نقرتين، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك في علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر». اهـ

ليس في القصة خروج عن الشريعة

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: إن قصة الخضر مع موسى عليه السلام، ليس فيها خروج عن الشريعة وإن أمثال هذه القصة تقع كثيرًا للمؤمنين كأن يختص أحد شخصين بعلم سبب يبيح له ذلك والآخر لا يعلم ذلك السبب وإن كان أفضل منه.

وضرب لذلك شخصين دخلا بيتًا لشخص ثالث، وكان أحد الشخصين يعلم طيب نفس صاحب البيت بالتصرف فيه، إما بإذن لفظي له أو بغير ذلك، والآخر لا يعلم ذلك، فالأول إن تصرف في البيت فقد أتى مباحًا في الشريعة، والآخر لا يتصرف فيه بهذا السبب أي حتى لا يأتي محظورًا في الشريعة، فخرق السفينة وقتل الغلام وغيره كان من هذا الباب.

[مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج١ ص٤٢٦) بتصرف]

ويزيد شيخ الإسلام الأمر وضوحًا فيقول: فلفظ الشرع والشريعة إذا أريد به الكتاب والسنة لم يكن لأحد من أولياء الله ولا لغيرهم أن يخرج عنه، ومن

ظن أن لأحد من أولياء الله طريقًا إلى الله غير متابعة محمد ﷺ باطنًا وظاهرًا فلم يتابعه باطنًا وظاهرًا فهو كافر، ومن احتج في ذلك بقصة موسى مع الخضر كان غالطًا من وجهين:

أحدهما: أن موسى لم يكن مبعوثًا إلى الخضر ولا كان على الخضر اتباعه، فإن موسى كان مبعوثًا إلى بني إسرائيل، وأما محمد ﷺ فرسالته عامة إلى جميع الثقلين الجن والإنس، ولو أدركه من هو أفضل من الخضر كإبراهيم وموسى وعيسى وجب عليهم اتباعه فكيف بالخضر، سواء كان نبيًا أو وليًا؟

ولهذا قال الخضر لموسى: «أنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه». وليس لأحد من الثقلين الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ أن يقول مثل هذا.

الثاني: أن ما فعله الخضر لم يكن مخالفًا لشريعة موسى عليه السلام، وموسى لم يكن علم الأسباب التي تبيح ذلك، فلما بينها له وافقه على ذلك، فإن خرق السفينة ثم ترقيعها لمصلحة أهلها خوفًا من الظالم أن يأخذها إحسانًا إليهم وذلك جائز، وقتل الصائل جائز وإن كان صغيرًا.

قال ابن عباس رضي الله عنهما لنجدة الحروري لما سأله عن قتل الغلمان قال له: «إن كنت علمت منهم ما علمه الخضر من ذلك الغلام فاقتلهم وإلا فلا تقتلهم». [البخاري]

وأما الإحسان إلى اليتيم بلا عوض والصبر على الجوع فهذا من صالح الأعمال فلم يكن في ذلك شيء مخالفٌ شرع الله. [الفرقان لابن تيمية]

فكيف يحتجون على هذا الباطل بخرق الخضر عليه السلام للسفينة، وقتله الغلام الزكي، وإقامته لجدار اليتيمين؟ وإنكار موسى عليه، ويقولون: إن موسى كان من أهل الظاهر، فأنكر، والخضر من أهل الباطن، فأقر، وما دروا أن الخضر فعل ما فعل بأمر الله ووحيه إليه حسب شريعته التي تعبده الله تعالى بها وأن موسى أنكر لأن ما فعله الخضر لا يجوز في شريعة موسى التي تعبده الله تعالى بها كما علمت.

ولهذا لما قال له الخضر: إني على علم مما علمني الله، وأنت على علم مما علمك الله، فسكت موسى واطمأن، إذ كانت الشرائع تتعدد بتعدد الرسل، ولم تجتمع الشرائع إلا في شريعة الإسلام حيث نسخ الله كل ما سبقها من الشرائع التي جاءت بها الرسل قبل النبي خاتم الأنبياء محمد ﷺ وبذلك بطل العمل بغير شريعة الإسلام التي ظاهرها هو باطنها وباطنها هو ظاهرها، شريعة واحدة لا ثانية لها ولا ثالثة.

وبناءً على هذا فإنه لا حجة لهم على تقسيم العلم إلى ظاهر وباطن، والدين الإسلامي إلى شريعة وحقيقة. [إلى التصوف يا عباد الله ص٣٣، ٣٤]

ضلال من زعم الاستغناء عن الوحيين بما يجده في قلبه وبما يمليه عليه هواه

قال القرطبي رحمه الله في تفسيره ما نصه: قال شيخنا أبو العباس: ذهب قوم من زنادقة الباطنية إلى سلوك طريق لا تلزم منه هذه الأحكام الشرعية، فقالوا: هذه الأحكام الشرعية العامة إنما يحكم بها على الأنبياء والعامة، وأما الأولياء وأهل الخصوص فلا يحتاجون إلى تلك النصوص، بل إنما يراد منهم ما يقع في قلوبهم، ويُحكم عليهم بما يغلب عليهم من خواطرهم.

وقالوا: وذلك لصفاء قلوبهم عن الأكدار، وخلوها من الأغيار، فتتجلى لهم العلوم الإلهية، والحقائق الربانية، فيقفون على أسرار الكائنات، ويعلمون أحكام الجزئيات فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات، كما اتفق للخضر؛ فإنه استغنى بما تجلى به من العلوم عما كان عند موسى من تلك الفهوم وقد جاء فيما ينقلون «استفت قلبك وإن أفتاك المفتون».

قال شيخنا رضي الله عنه: وهذا القول زندقة وكفر، يُقتل قائله ولا يستتاب لأنه إنكار ما علم من الشرائع، فإن الله تعالى قد أجرى سنته، وأنفذ حكمته بأن أحكامه لا تعلم إلا بواسطة رسله السفراء بينه وبين خلقه، وهم المبلغون عنه رسالته وكلامه المبينون شرائعه وأحكامه، اختارهم لذلك وخصهم بما هنالك، كما قال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وقال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣]، إلى غير ذلك من الآيات.

وعلى الجملة، فقد حصل العلم القطعي واليقين

الضروري، واجتماع السلف والخلف على أنه لا طريق لمعرفة الله تعالى التي هي راجعة إلى أمره ونهيه، ولا يعرف شيء منها إلا من جهة الرسل، فمن قال إن هناك طريقًا أخرى يعرف بها أمره ونهيه غير الرسل حيث يستغنى عن الرسل فهو كافر يقتل ولا يستتاب، ولا يحتاج معه إلى سؤال وجواب، ثم هو قول بإثبات أنبياء بعد نبينا ﷺ ، الذي جعله الله خاتم أنبيائه ورسله، فلا نبي بعده ولا رسول.

وبيان ذلك: أن من قال: يأخذ عن قلبه، وأن ما يقع فيه حكم الله تعالى، وأنه يعمل بمقتضاه، وأنه لا يحتاج مع ذلك إلى كتاب ولا سنة، فقد أثبت لنفسه خاصية النبوة، فإن هذا نحو ما قاله ﷺ: «إن روح القدس نفث في رُوعي...». اهـ من «تفسير القرطبي».

وبذلك تعلم أن ما يدعيه كثير من الجهلة المدعين للتصوف من أن لهم ولأشياخهم طريقًا باطنة توافق الحق عند الله ولو كانت مخالفة لظاهر الشرع، كمخالفة ما فعله الخضر لظاهر العلم الذي عند موسى زندقة وذريعة إلى الانحلال بالكلية من دين الإسلام، بدعوى أن الحق فيه أمور باطنة تخالف ظاهره. [أضواء البيان: جـ٤ ص١٥٨]

لا تقدموا بين يدي الله ورسوله

لقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أولياء الله على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء، والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يجب لهم الإيمان بجميع ما يخبرون به عن الله عز وجل، وتجب طاعتهم فيما يأمرون به، بخلاف الأولياء، فإنهم لا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به، ولا الإيمان بجميع ما يخبرون به، بل يعرض أمرهم وخبرهم على الكتاب والسنة، فما وافق الكتاب والسنة وجب قبوله، وما خالف الكتاب والسنة كان مردودًا، وإن كان صاحبه من أولياء الله وكان مجتهدًا معذورًا فيما قاله، لكنه إذا خالف الكتاب والسنة كان مخطئًا وكان من الخطأ المغفور إذا كان صاحبه قد اتقى الله ما استطاع، فإن الله تعالى يقول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، لا يسوغ لولي أن يدعي العلم اللدني، أو أن يعتقد إنسان أن لأهل الحقيقة- بزعمه- أن يخالفوا الشريعة، أو يبتدع في دين الله فيصف الفقهاء بأنهم علماء الظاهر وأن الصوفية هم علماء الباطن! فلا يجوز تبعيض دين الله، قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

وقد صح الخبر أن النبي ﷺ لما وجد في يد عمر بن الخطاب صحيفة من التوراة غضب، وقال: «أهذا وأنا حي بين أظهركم، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، والله لو كان موسى حيًا لما حل له إلا أن يتبعني»، فكيف بالخضر وبمن هو دونه من الأولياء؟!

فإن من ادعى - كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - (أو ادعى له أصحابه) أنه ولي لله وأنه مخاطب يجب على أتباعه أن يقبلوا كل ما يقوله ولا يعارضوه، ويسلموا له حاله من غير اعتبار بالكتاب والسنة، فهو وهم مخطئون، ومثل هذا من أضل الناس، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه أفضل منه وهو أمير المؤمنين وكان الناس ينازعونه فيما يقوله وهم جميعا على الكتاب والسنة.

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد إلا رسول الله ﷺ، فأولياء الله يجب عليهم الاعتصام بالكتاب والسنة، وأنه ليس فيهم معصوم يسوغ له أو لغيره اتباع ما يقع في قلبه من غير اعتبار بالكتاب والسنة، وهو مما اتفق عليه أولياء الله عز وجل، من خالف في هذا فهو ليس من أولياء الله سبحانه الذين أمر الله باتباعهم بل إما أن يكون كافرًا وإما أن يكون مُفْرطًا في الجهل، وهذا كثير في كلام أهل العلم.

كقول الشيخ أبي سليمان الداراني: إنه ليقع في قلبي النكتة من نكت القوم، فلا أقبلها إلا بشاهدين الكتاب والسنة.

وقال أبو عمر بن نجيد: كل وجد لا يشهد له الكتاب فهو باطل.

وقال أبو عثمان النيسابوري: من أمَّرَ السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة؛ لأن الله تعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤].

وفقنا الله وإياكم إلى الاعتصام بالكتاب والسنة. والله من وراء القصد.



أيها المربي.. وولدك على أبواب الجامعة

الحمد لله الذي أرسل إلينا خير رسله، وأنزل إلينا خير كتبه وشرع لنا فيه أفضل شرائع دينه وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ وبعد:

هل فكرت أن يكون ابنك من الدعاة إلى الله؟

هل نذرت أن يكون أرجح أبنائك عقلا طالبًا في كليات الدعوة إلى الإسلام؟

وهل نويت أن يكون أعلى أبنائك درجات فقيهًا في الدين حافظًا للقرآن الكريم؟

وهل تستطيع أنت أو أحد أبنائك أن تعرض دعوة الإسلام الصحيحة على مخالفيه؟ هل تستطيع أن تعرض تلك البضاعة عرضًا يفحم الخصوم ويليق بعظمة هذا الدين؟ خاصةً وأنك وأبناؤك أصحاب تعليم عالٍ! تعال معي وانظر إلى هذا الشاب الجليل الذي لم يعرف سوى أفضل جامعة على الإطلاق؛ جامعة المعلم الأول سيد البشر محمد ﷺ؛ تلك الجامعة التي علّمت ودرّست أشرف العلوم وأنبلها مطلقًا؛ كتاب الله تعالى ووحيه إلى نبيه ﷺ. ذلك الشاب هو جعفر بن أبي طالب، رضي الله عن جعفر وعن بنيه وذريته، فما هو حظك وحظ أبنائك من هذا البحر الذاخر، والهدي الطاهر؟

هذا الشاب الذي عرض الإسلام على ملك من أذكى ملوك الأرض، في لحظات عصيبة من أشد اللحظات على رجال مستضعفين ونساء لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا، مطاردون مخوّفون لكنهم بدينهم يستمسكون، وعلى ربهم يتوكلون، ولومة لائم في الله لا يخافون.

عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار؛ النجاشي؛ أمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشًا ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جَلْدين وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يُستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها إليه الأدم، فجمعوا له أدمًا كثيرًا ولم يتركوا من بطارقته بطريقًا إلا أهدوا إليه هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي وعمرو بن العاص السهمي وأمروهما أمرهم.

مكيدة

وقالوا لهما: ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم، ثم قدموا له هداياه ثم سلوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم، قالت أم سلمة: فخرجا، فقدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار عند خير جار، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته وقالا له إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بَعَثَنَا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم فإن قومهم أعلى بهم عينًا وأعلم بما عابوا عليهم، فقالوا لهم: نعم، ثم إنهما قربا هدايا النجاشي فقبلها منهم ثم كلماه فقالا له: أيها الملك إنه ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا



في ظلال التوحيد

دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بَعَثْنا إليك أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم فهم أعلى بهم عينًا وأعلم بما عابوا عليهم فيه، قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله وعمرو من أن يسمع النجاشي كلامهم، فقالت بطارقته حوله: صدقوا أيها الملك فأسلِمْهم إليهما، فغضب النجاشي ثم قال: لا ها الله إذًا لا أسلمهم إليهما ولا أكاد (لا يحملني على ما أكره) قومًا جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم، ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله فدعاهم.

مشورة حول الصدع بالحق

فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا ﷺ كائنًا في ذلك ما كان، فلما جاءوه وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الأمم؟ قالت أم سلمة: وكان الذي يكلمه جعفر بن أبي طالب.

عرض رائع للإسلام

فقال له: أيها الملك إنا كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئًا وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام. قالت: فعدَّد له أمور الإسلام، قال: فصدقناه وآمنا به واتبعناه فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك.

تأثر النجاشي بالدعوة

قالت فقال: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قال: نعم، قال: فاقرأه عليَّ، فقرأ عليه صدرًا من كهيعص (سورة مريم) فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلي عليهم ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلِقا فوالله لا أسلمهم إليكم أبدا ولا أُكاد، فلما خرجا قال عمرو: والله لأنبئنه غدا عيبهم ثم أستأصل خضراءهم، فقال له عبد الله بن أبي ربيعة: - وكان أتقى الرجلين فينا - لا تفعل فإن لهم أرحامًا وإن كانوا قد خالفونا، قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى عبد، ثم غدا عليه فقال: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيما فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه، فأرسَلَ يسألهم، قالت: ولم ينزل بنا مثلها، فاجتمع القوم ثم قالوا نقول والله فيه ما قال الله تعالى كائنًا ما كان، فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى؟ فقال له جعفر: نقول فيه الذي جاء به نبينا؛ هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فضرب النجاشي يده إلى الأرض فأخذ عودًا ثم قال: ما عدا عيسى ما قلتَ هذا العود، فتناخرت بطارقته حوله فقال: وإن نخرتم والله؛ اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي والسيوم الآمنون، من سبكم غُرِّم ثم من سبكم غرم، ما أحب أن لي دبرى ذهبًا وأني آذيت رجلا منكم - والدبر

بلسانهم الجبل - ردوا عليهما هداياهما، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليَّ ملكي فآخذ الرشوة فيه؟ وما أطاع الناسَ فيَّ فأطيعهم فيه؟ فخرجا مقبوحيْن؟ مردودًا عليهما ما جاءا به وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار.

الإحسان جزاء الإحسان

فوالله إنا على ذلك إذ نزل به يعني من ينازعه في مُلكه، فوالله ما علمنا حربًا قط كان أشد من حرب حربناه تخوفًا أن يظهر ذلك على النجاشي فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه وسار النجاشي وبينهما عُرض النيل، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مَنْ رجل يخرج حتى يَحْضُر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟

شجاعة شبابية نادرة

فقال الزبير: أنا، وكان من أحدث القوم سنًا فنفخوا له قربة فجعلها في صدره ثم سبح عليها حتى خرج إلى مكان الملتقى وحضر، فدعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له في بلاده واستوسق له أمر الحبشة فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة.

[سير أعلام النبلاء ج١ ص٤٣١ وإسناده قوي خرجه أحمد]

أيتها المربية.. درس لك ولبناتك

هذا درس ينبغي أن تعيه كل امرأة مربية، وتلقنه بناتها.

أولا: إن ذئاب البشر كثيرون، والمتعرضين للنساء لا يكلون ولا يملون، وعلى المسلمة أن تكون حذرة وفطنة لأي شباك ينصبها لها المحتالون.

ثبات المسلمة عند فجيعة المأزق

ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه الجواب الكافي «أن رجلا كان واقفًا بإزاء داره (باتجاهها)، وكان بابها يشبه باب حمّام منجاب (حمام كان مخصصًا للنساء) فمرت جارية لها منظر، فقالت: أين الطريق إلى حمام منجاب؟ فأشار إلى بيته وقال لها: هذا حمام منجاب، فدخلت الدار - وهي لم تعرف أنه خدعها - ودخل وراءها، فلما رأت نفسها في داره وعلمت أنه قد خدعها، أظهرت له البشرى والفرح باجتماعها معه، وقالت له: يصلح أن يكون معنا ما يطيب به عيشنا وتقرُّ به عيوننا، فقال لها: الساعة آتيك بكل ما تريدين وتشتهين، وخرج وتركها في الدار ولم يغلقها، فأخذ ما يصلح ورجع فوجدها قد خرجت وذهبت». [الجواب الكافي لابن القيم ص١٨٩]

هذه المرأة رغم أنها وقعت في ورطة عظمى، ومصيبة كبرى، لكنها بما تتمتع به من ذكاء وثبات، ورجاحة عقل استطاعت بتوفيق الله أن تنجو من هذا المأزق المهين كما تخرج الشَّعْرةُ من العجين، ولو أنها ارتبكت، وصاحت وبكت؛ لحاول الخبيث كتْم فَمِها وأنفاسها، ثم قام بافتراسها، ليفعل بها ما يريد، وليقضي على الأخضر واليابس من عرضها وشرفها. نسأل الله تعالى أن يعافي بنات المسلمين من مثل ذلك الخائن اللئيم.

وهذه المرأة بذلك العمل كانت نموذجًا للمرأة العفيفة شديدة الوقار، مستلذة النفار. فهي تنفر من خلطة الرجال.

وقد ضرب الله تعالى مثلا في الطهر والعفاف بواحدة من سيدات نساء العالمين، وهي مريم ابنة عمران، فقال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا..﴾ [التحريم:١٢]، وعلى طريق مريم سارت صالحات قانتات، نذكر منهن هذه الأمثلة:

١ - هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان، بايعت النبي ﷺ يوم الفتح مع النساء، وبايعهن رسول الله ﷺ على ألا يسرقن ولا يزنين، فقالت لرسول الله ﷺ قولتها المشهورة: وهل تزني الحرة؟ [الإصابة ١٥٥/٨] وحقًا ما قالت، فإنها تعبر عما ينبغي أن يستقر في قلب كل حرة عاقلة، وأن الحرة حقًا ينبغي ألا تكون أسيرة لشهوتها ولا مطيعة لمن يقضي على عفتها.

وعن جابر رضي الله عنه أنه كان لعبد الله بن أبي بن سلول جارية يقال لها: مسيكة، وأخرى يقال لها: أميمة، فكان يكرههما على الزنى، فشكتا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ..﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور:٣٣]. [صحيح مسلم ج٤ ص٢٣٤٠]

٢ ـ وهذه معاذة جارية عبد الله بن أُبَيٍّ بن سلول أيضًا، وكان عنده أسير، فكان ابن سلول يضربها لتمكن الأسير من نفسها، رجاء أن تحبل منه فيأخذ ابن سلول فداءً عن الأسير وابنه، وهو العَرَض الذي قال الله تعالى فيه: ﴿لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [النور:٣٣]. وكانت الجارية تأبى عليه، وكانت مسلمة، فأنزل الله تعالى فيها الآية: ﴿وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. [الإصابة ج٨/١٢٠]

والقصة رواها الطبراني والبزار عن ابن عباس قال: كانت لعبد الله بن أُبي جارية تزني في الجاهلية، فلما حرم الزنى قالت: لا والله لا أزني أبدًا، فنزلت: ﴿وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ الآية. [مجمع الزوائد ٧/٨٢]

وفي القصة الأولى ذكرنا قول هند: «وهل تزني الحرة؟». وفي غيرها رأينا الجاريات ترفض أيضًا الزنى!

إذن فمن هذه التي تقبل الزنى وتُقْدِم عليه؟ لا شك أنها الوضيعة الحقيرة التي وضعت شرفها وعفتها تحت تَصَرُّف الزاني بها، وهي دون الحرة، وأقل من الجارية، فهي أقرب إلى الحيوانات، والمسلمة الصالحة لا تفعل ذلك.

طفلنا المسلم

تحدثنا في العدد قبل السابق عن أبناء السلف وحفظهم حديث رسول الله ﷺ وذكرنا منهم ابن عباس رضي الله عنهما، واليوم نتحدث عن فتى آخر ممن حفظ الحديث.

٢.البخاري:

وعن البخاري يقول أبو جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق: قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: كيف كان بدء التابعين في طلب الحديث؟ قال: أُلهِمتُ حفظ الحديث وأنا في الكُتاب ولي عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من الكُتاب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره، فلما طعنت في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء وأقاويلهم، ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة، فأقمنا بها لطلب الحديث، فلما طعنت في ثمان عشرة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم. وصنَّفت كتاب التاريخ، وقل اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة، إلا أني كرهت تطويل الكتاب.

وروي عن البخاري أنه قال: أخرجت هذا الكتاب ـ يعني الصحيح ـ من زهاء ستمائة ألف حديث.

وقال الفربري: قال لي البخاري: ما وضعت في كتابي الصحيح حديثًا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين.

وقال بندار: حفاظ الدنيا أربعة: أبو زرعة بالري، ومسلم بنيسابور، والدارمي بسمرقند، والبخاري ببخارى.

قال ابن عدي: كان ابن صاعد إذا ذكر البخاري يقول: الكبش النطاح(١).

وذكر ابن أبي حاتم عنه قصة: قال البخاري: خرجتُ من الكُتاب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره، فقال يومًا فيما كان يقرأ للناس: عن سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم. فقلت له: إن أبا الزبير لم يروِ عن إبراهيم، فانتهرني، فقلت له: ارجع إلى الأصل، فدخل فنظر فيه ثم خرج، فقال لي: كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدي عن إبراهيم، فأخذ القلم مني وأحكم كتابه وقال: صدقت، فقيل: ابن كم كنتَ حين رددتَ عليه؟ قال: ابن إحدى عشرة سنة(٢).

سبحان الله وتبارك الله! بمثل هؤلاء تتشرف ديار الإسلام، ويتشرف بذكرهم الأنام، فهم حقًا الأئمة الأعلام.

وللبخاري من المؤلفات الجامع الصحيح، التاريخ الكبير، الأدب المفرد، القراءة خلف الإمام.

ولد يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة، ومات ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين.

فهل لأبنائنا أبناء الإسلام قدوة في هؤلاء الأعلام؟ هذا ما نرجوه إن شاء الله. وإلى لقاء.

---

(١) طبقات الحفاظ (١/٢٥٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٣/٣٩٣).

أدب التناجي

في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية

إعداد

أحمد إبراهيم يوسف

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. أما بعد:

فإن الرسول ﷺ بُعث وجل همه بعد جمع الناس على توحيد ربنا عز وجل الحفاظ على أحاسيس الناس وشعورهم، ذلك أن كل أمر يرجع إلى ألم المسلم وغمه من شأن المؤمنين ولا ديدنهم، فالمسلم الحقيقي من سلم المسلمون من لسانه ويده، ومن ذلك حرصه ﷺ على مراعاة شعور المسلم حال التناجي- إن كان لابد منه لصالح الحياة وضرورياتها-، حتى يستقيم الحال، وتستريح النفوس، ويسلم المسلم من سوء الظن بأخيه، ويأمن من ألقيات الشيطان وأحاديث النفس.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث».

[البخاري: ٥/٢٣١٨ (٥٩٣٠)، ومسلم ٤/١٧١٧ (٢١٨٣)]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس؛ من أجل ذلك أن ذلك يحزنه».

[البخاري: (٦٢٨٨)، ومسلم (٢١٨٤)]

أصل التناجي في اللغة

نجا الرجل أخاه نجوًا ونجوى: سارَّه، والنجوى، والنَّجيُّ: السر، يقال: نجوته نجوًا أي: ساررته، وكذلك ناجيته. والاسم: النجوى، وانتجى القوم وتناجوا: تسارُّوا. قال أبو إسحاق: معنى النجوى في الكلام ما ينفرد به الجماعة والاثنان، سرًا كان أو ظاهرًا. [لسان العرب: ١٥/٣٠٨، ٣٠٩]. وقال أبو عمر بن عبد البر: التناجي: التسار، وذلك مكالمة الرجل أخاه عند أذنه بما يسره من غيره.

[التمهيد لابن عبد البر ١٥/٢٨٧]

الشرح والتحليل

في هذين الحديثين يبين ﷺ الحكمة من النهي عن تناجي اثنين دون الثالث بقوله: «أجل أن ذلك يحزنه» قال القرطبي: وفيه- أي الحديث- أيضًا التنبيه على التعليل بقوله: «من أجل أن ذلك يحزنه» أي: يقع في نفسه ما يحزن لأجله، وذلك بأن يقدر في نفسه أن الحديث عنه بما يكره، أو أنه لم يروه أهلاً ليشركوه في حديثهم، إلى غير ذلك من ألقيات الشيطان وأحاديث النفس، وحصل ذلك كله من بقائه وحده، فإذا كان معه غيره أمن ذلك. [تفسير القرطبي ٧/٦٦٥٣]

الحكم الشرعي للتناجي

تناجي الرجلين دون إذن الثالث، وفي حالة عدم وجود جماعة، حرام، وهما بذلك قد ارتكبا كبيرة من الكبائر، نهى عنها الله عز وجل ورسوله ﷺ.

قال النووي: وفي هذه الأحاديث النهي عن تناجي اثنين بحضرة ثالث، وكذا ثلاثة وأكثر بحضرة واحد، وهو نهي تحريم، فيحرم على الجماعة المناجاة دون واحد منهم إلا أن يأذن.

وقال المناوي: والنهي للتحريم عند الجمهور، فيحرم تناجي اثنين دون الثالث، أي: بغير إذنه إلا لحاجة.

واختلف أهل العلم في هذا النهي هل هو عام في كل الأزمان أم خاص بالسفر؟ الظاهر- والله أعلم- أنه لا فرق بين أن يكون ذلك في السفر أو الحضر، وهذا هو الذي رجحه الجمهور.

قال النووي: ومذهب ابن عمر رضي الله عنهما، ومالك وأصحابنا، وجماهير العلماء، أن النهي عام في كل الأزمان

وفي الحضر والسفر.

وقال ابن العربي: الخبر عام اللفظ والمعنى، والعلة الحزن، وهي موجودة في السفر والحضر، فوجب أن يعمهما النهي جميعًا.

آداب التناجي

للتناجي- إن كان لابد منه- آداب جليلة، يجب مراعاتها، والتحلي بها، لتظل الروابط بين المسلمين قوية متينة، محكومة بأصول من الذوق الجميل والأدب الرفيع، من هذه الآداب:

١- أن يكون التناجي في طاعة الله ورضاه، لا في معصيته وسخطه. ولقد ذم الله المنافقين حين تناجوا بالإثم ومعصية الرسول، وكان ذلك يغيظ المؤمنين ويكبر عليهم، فقال الحق عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [المجادلة: ٨].

ثم عمم الله عز وجل الحكم فأدخل أهل الإيمان في النهي، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلاَ تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المجادلة: ٩].

قال القرطبي: نهى المؤمنين أن يتناجوا فيما بينهم كفعل المنافقين واليهود، فقال: «يا أيها الذين إذا تناجيتم» أي: تساررتم: «فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر» أي: بالطاعة والتقوى بالعفاف عما نهى الله عنه.

ثم بين الحق عز وجل سبب النهي، موضحًا أن نجوى اليهود والمنافقين من تزيين الشيطان وعمله، كي يحزن المسلمون ويصيبهم الغم والهم، لكن لا ضرر ولا أذى للمؤمنين إلا بمشيئة الله جل جلاله وقدره، لأنهم يكلون أمرهم إليه، ويفوضون جميع شئونهم إلى عونه، ويستعيذون به من الشيطان ومن كل شر، فقال: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

قال ابن كثير: «إنما النجوى» وهي المسارة حيث يتوهم مؤمن بها سوءًا «من الشيطان» يعني: إنما يصدر هذا من المتناجين عن تسويل الشيطان وتزيينه، «ليحزن الذين آمنوا» أي: ليسوءهم، وليس ذلك بضارهم شيئًا إلا بإذن الله، ومن أحس من ذلك شيئًا فليستعذ بالله، وليتوكل على الله، فإنه لا يضره شيء بإذن الله.

٢- ومن آداب التناجي أيضًا عدم الجلوس مع متناجيين ابتدأ حديثهما قبل دخول الثالث، أو كان موجودًا لكن بحيث لا يسمع كلامهما لو تكلما جهرًا، فلا يجوز له التصنت لسماع كلامهما، كما لو لم يكن حاضرًا أصلاً.

أخرج البخاري في الأدب المفرد من رواية سعيد المقبري: «مررت على ابن عمر ومعه رجل يتحدث، فقمت إليهما، فلطم في صدري، فقال: إذا وجدت اثنين يتحدثان فلا تقم معهما، ولا تجلس معهما حتى تستأذنهما، فقلت: أصلحك الله يا أبا عبد الرحمن، إنما رجوت أن أسمع منكما خيرًا». زاد أحمد في روايته: وقال: «أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: «إذا تناجى اثنان فلا تجلس إليهما حتى تستأذن».

قال ابن عبد البر: ولا يجوز لأحد أن يدخل على المتناجيين في حال تناجيهما.

زاد ابن حجر: «ولا ينبغي للداخل القعود عندهما- ولو تباعد عنهما- إلا بإذنهما، لما افتتحا حديثهما سرًا وليس عندهما أحد، دل على أن مرادهما ألا يطلع أحد على كلامهما، ويتأكد ذلك إذا كان صوت أحدهما جهوريًا لا يتأتى له إخفاء كلامه ممن حضره، وقد يكون لبعض الناس قوة فهم بحيث إذا سمع بعض الكلام استدل به على باقيه، فالمحافظة على ترك ما يؤذي المؤمن مطلوبة وإن تفاوتت المراتب».

٣- ومن آداب التناجي أنه لا يجوز لرجلين أن يتناجيا، وبين أحدهما وأحد الجالسين شقاق ونزاع.

قال ابن حجر: ويؤخذ من التعليل- أي: قوله: «أجل أن ذلك يحزنه»- استثناء صورة مما تقدم عن ابن عمر من إطلاق الجواز إذا كانوا أربعة، وهي مما لو كان بين الواحد الباقي وبين الاثنين مقاطعة بسبب يعذران به أو أحدهما فإنه يصير في معنى المنفرد.

وبعد: فهذه هي أحكام التناجي وآدابه، والتي ينبغي أن يكون المسلم على إلمام تام بها، حتى يتجنب إيذاء إخوانه، وليكون بذلك مطبقًا لما توجبه الصحبة من الألفة والأنس وعدم التنافر، والله تعالى أعلى وأعلم، وبالله التوفيق.

تحذير الداعية من القصص الواهية

قصة كشف عمر بن الخطاب عن ساقي أم كلثوم بنت علي

الحلقة التاسعة والخمسون

إعداد
الشيخ/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اتخذها أهل السفور دليلاً شرعيًا للشباب لرؤية بعض جسد المرأة وهم يريدون خِطبتها.

أولا: متن القصة

رُوِيَ عن أبي جعفر قال: «خطب عمر بن الخطاب إلى علي ابنته أم كلثوم فذكر له صغرها، فقيل له إنه ردك فعاوده، فقال له علي: أبعث بها إليك فإن رضيت فهي امرأتك، فأرسل بها إليه، فكشف عن ساقيها فقالت: أرسل، لولا أنك أمير المؤمنين لصككت عينيك» وفي رواية «للطمت عينيك».

ثانيا: التخريج

هذه القصة أخرجها سعيد بن منصور في «سننه» (١٤٧/١)، وعبد الرزاق في «المصنف (١٦٣/٦) من طريق سفيان عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر قال: فذكره.

ثالثا: التحقيق

القصة: واهية وعلتها الانقطاع

١ ـ أبو جعفر أورده الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٣١١/٩) قال: محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو جعفر الباقر أمه بنت الحسن بن علي بن أبي طالب.

ثم نقل عن ابن البرقي قوله: «كان مولده (يعني أبا جعفر) سنة ست وخمسين.

٢ ـ قال الحافظ في «التقريب» (٥٤/٢):

«عمر بن الخطاب بن نُفَيل... القرشي أمير المؤمنين مشهور جم المناقب استشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين».

٣ ـ بالمقارنة بين تاريخ مولد أبي جعفر، وبين تاريخ وفاة عمر رضي الله عنه نجد أن أبا جعفر ولد بعد موت عمر رضي الله عنه بثلاث وثلاثين سنة من هذا الانقطاع يتبين عدم صحة القصة.

٤ ـ فائدة:

قال الإمام النووي في «التقريب» (٣٤٩/٢ ـ تدريب):

«النوع الستون: التواريخ والوفيات: هو فن مهم به يعرف اتصال الحديث وانقطاعه، وقد ادعى قوم الرواية عن قوم فنُظِرَ في التاريخ فظهر أنهم زعموا الرواية عنهم بعد وفاتهم بسنين».

٥ ـ وأبو جعفر أورده الإمام ابن أبي حاتم في كتابه «المراسيل» ترجمه (٣٤٠) حيث قال:

«محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو جعفر».

أخبرنا محمد بن حمويه بن الحسن قال: سمعت أبا طالب ـ يعني: أحمد بن حميد ـ يقول: سألت أحمد بن حنبل عن محمد بن علي، سمع من أم سلمة شيئًا؟

قال: لا يصح أنه سمع.

قلت: فسمع من عائشة؟

فقال: لا!! ماتت عائشة قبل أم سلمة».

ثم قال ابن أبي حاتم: «سمعت أبي يقول:

«أبو جعفر محمد بن علي لم يلق أم سلمة» اهـ.

قلت: وأم سلمة، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٦١٧/٢):

«هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن المغيرة بن مخزوم المخزومية، أم سلمة، أم المؤمنين، تزوجها النبي ﷺ بعد أبي سلمة سنة أربع وقيل ثلاث، وعاشت بعد ذلك ستين سنة، ماتت سنة اثنتين وستين».

قلت: ولم يصح له السماع من أم سلمة فكيف بعمر رضي الله عنه الذي مات قبل أم سلمة بتسع وثلاثين سنة.

من هذا يتبين أن القصة واهية.

رابعا: طريق آخر

أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١٦٣/٦) من طريق ابن جريج قال: سمعت الأعمش يقول: خطب عمر فذكر القصة.

خامساً: التحقيق

الأعمش: هو سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي. مولاهم أبو محمد الكوفي الأعمش.

نقل الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (١٩٧/٤) عن الخليلي أنه قال:

«وقول ابن المنادي الذي سلف أن الأعمش أخذ بركاب أبي بكرة الثقفي غلط فاحش لأن الأعمش ولد إما سنة (٦١) أو سنة (٥٩) على الاختلاف في ذلك وأبو بكرة مات سنة إحدى أو اثنتين وخمسين فكيف يتهيأ أن يأخذ بركاب من مات قبل مولده بعشر سنين أو نحوها». اهـ

قلت فكيف بعمر بن الخطاب رضي الله عنه والذي مات سنة ثلاث وعشرين أي قبل مولد الأعمش بثماني وثلاثين سنة.

ولذلك قال الإمام السيوطي في «التدريب» (٢٠٥/١):

«مرسلات أبي إسحق الهمداني، والأعمش، والتيمي، ويحيى بن أبي كثير شبه لا شيء».

قلت: وهذا الانقطاع شر من مجهول العين ومجهول الحال فهو مردود بالاتفاق بين العلماء وذلك للجهل بحال وعين الراوي المحذوف.

سادساً: تراجع الشيخ الألباني رحمه الله

لئلا يتقوّل علينا متقول أو يتوهم واهم بأن القصة صحيحة مغترًا بأن الشيخ الألباني رحمه الله أوردها في السلسلة «الصحيحة» (١٥٦/١)، (١٥٨/١).

نقول: إن الشيخ الألباني رحمه الله، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير

الجـــزاء تراجع عن ذلك في السلسلة «الضعيفة» (٣/٤٣٣، ٤٣٤) حيث قال:

١ - (تنبيـه): كنت ذكـرت في المصدر المذكـور - يعني «سلسلة الأحاديث الصحيحة» - (١٥٦/١) نقلا عن «تلخيص الحبير» لابن حجر العسقلاني (ص٢٩١-٢٩٢) من الطبعة الهندية رواية عبد الرزاق، وسعيد بن منصور وابن أبي عمر، عن سفيان عن عمرو بن دينار عن محمد بن علي بن الحنفية أن عمر خطب إلى علي ابنته أم كلثوم.. القصة، وفيها أن عمر رضي الله عنه كشف عن ساقها.

٢ - وقد اعتبرتها يومئذ صحيحة الإسناد، اعتمادًا مني على ابن حجر - وهو الحافظ الثقة - وقد أفاد أن راويها هو ابن الحنفية، وهو أخو أم كلثوم، وأدرك عمر ودخل عليه.

٣ - فلما طبع «مصنف عبد الرزاق» بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ووقفت على إسنادها فيه (١٠/١٠٣٥٢) تبين لي أن في السند إرسالا وانقطاعا، وأن قوله في «التلخيص»: «.. ابن الحنفية» خطأ لا أدري سببه، فإنه في «المصنف»: «... عمرو بن دينار عن أبي جعفر قال:...».

وكذلك هو عند سعيد بن منصور (٣ رقم ٥٢٠) كما ذكر الشيخ الأعظمي.

٥ - وعليه فراوي القصة ليس ابن الحنفية، لأن كنيته أبو القاسم، وإنما هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كما تقدم؛ لأنه هو الذي يكنى بأبي جعفر، وهو الباقر.

وهو من صغار التابعين، روى عن جديه الحسن والحسين وجد أبيه علي بن أبي طالب مرسلا كما في «التهذيب» وغيره.

٦ - فهو لم يدرك عليا بَلْه عمر، كيف وقد ولد بعد وفاته بأكثر من عشرين سنة، فهو لم يدرك القصة يقينا، فيكون الإسناد منقطعا.

٧ - فرأيت من الواجب على - أداءً للأمانة العلمية - أن أهتبل هذه الفرصة وأن أبين للقراء ما تبين لي من الانقطاع. والله تعالى هو المسئول أن يغفر لنا ما زلت به أقلامنا، ونَبَت عن الصواب أفكارنا، إنه خير مسئول». اهـ.

قلت: هذا هو تراجع الشيخ الألباني رحمه الله سائلا الله المغفرة لأن هذا الأمر عظيم، يحسبه من لا دراية له بهذا العلم هينا.

فكيف بالأحداث الذين لا دراية لهم بهذا الفن من قصاص ووعاظ والذين يستخفون العوام بالقصص الواهية التي عندما نبين ضررها ونكشف عوارها يغضبون ويتألمون وإنا لله وإنا إليه راجعون.

فلماذا لا يرجعون تائبين مستغفرين متأسين بمحدث الديار الشامية رحمه الله وبما أورده الإمام الذهبي رحمه الله في «الميزان» (٩٧/٤) في ترجمة مسروح أبي شهاب نقلا عن ابن أبي حاتم قال: «سألت أبي عن مسروح، وعرضت عليه بعض حديثه فقال: «يحتاج إلى توبة من حديث باطل رواه عن الثوري» قال الذهبي: «إي والله، هذا هو الحق، إن كل من روى حديثا يعلم أنه غير صحيح، فعليه التوبة أو يهتكه». اهـ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء:١٣٥].

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

تجيب عليها لجنة الفتوى بالمركز العام

إزالة الشعر

▫ يسأل: خ . ن . م مرسى مطروح: هل يجوز استعمال «كريم» إزالة الشعر.. في إزالة الشعر المأمور بإزالته في السنة «كنتف الإبط» والعانة علمًا بأن الطرق الأخرى للإزالة تكون مؤلمة سواء «الحلق، أو النتف» وربما يتضرر الإنسان بذلك..؟ وهل في حالة الجواز.. يعد ذلك تشبهًا بالنساء؟

الجواب: المطلوب إزالة الشعر، فباي وسيلة أزيل فقد حصل المقصود، وإن كان نتف الإبط أفضل من حلقه، وحلق العانة أفضل من نتفها.

التصرف في أموال الغير

▫ ويسأل: أ . ل . س: في ذمتي مبلغ لبعض الناس أنوي رده هل يجوز سداد دين أحد المدينين به؟

الجواب: يجب عليك إذا كنت تملك المبلغ الذي أخذته وتستطيع ردّه إلى مالكه، أن ترد المبلغ عليهم، أما إذا عجزت عن ردّه لفقر أو حاجة، فيكفيك أن تتوب فيما بينك وبين الله وتكثر من الدعاء والاستغفار لأصحاب الحقوق. وتطلب العفو من صاحب الدين

وإذا وجدت المال وعجزت عن رده إلى أصحابه لعدم معرفة عنوانهم فيلزمك أن تتصدق بالمبلغ على نيتهم، والله يثيبهم.

▫ ويسأل أيضًا: هل يجوز لي أخذ الزكاة من أي جمعية تقوم بجمع زكاة المال لسداد هذا الحق لأصحابه؟

الجواب: إذا كنت عاجزًا عن سداد ديونك فانت من الغارمين الذين يحق لهم قبول الزكاة.

الزوج الكفء وإن كان فقيرا

▫ تسأل م . م الجيزة: هل يحق لأهلي أن يرفضوا شخصًا تقدم لخطبتي أرضى دينه وخلقه بسبب فقره وقلة ما يملك خشية أن يطمع هذا الشخص في أموالي بعد الزواج؟

الجواب: لا يجوز لوليّ المرأة أن يمنعها ممن ترغب في الزواج به إذا كان ذا دين وخلق بسبب فقره، أو لكونه أقل في مستواه المادي عنها، فإن فعلوا فقد ظلموا الفتاة، ومنعوها حقها في الحياة، فعليهم أن يتقوا الله، وأن لا يحولوا بين المرأة ومن ترغب فيه لخلقه ودينه، وإن كان فقيرا فقد قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور:٣٢].

هل في لب البطيخ زكاة؟

▫ يسأل عبد الله محمود . من كفر الدوار: كيف أخرج زكاة الزرع إذا كان المحصول المزروع عبارة عن حبوب لب قرع ولب بطيخ أفيدونا وجزاكم الله خيرا؟

الجواب: ليس في لب القرع ولب البطيخ زكاة مقدرة، ولكن عليك إذا بعته أن تخرج مبلغا من المال صدقة لله عز وجل، لعموم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ [البقرة:٢٦٧].

العمل في المقاهي

▫ يسأل ح . م . ع . فارسكور . دمياط: هل يجوز أن أعمل مع والدي في «القهوة» التي يمتلكها وفيها الشيشة وغيرها من أنواع الدخان وخصوصًا أنني مقبل على الزواج وليس أمامي عمل أتكسب منه للنفقة؟

الجواب: لا يجوز تقديم الشيشة وغيرها من أنواع الدخان في المقهى، لأن الدخان حرام، ولا يجوز بيعه، والكسب منه حرام.

وعليك أن تتقي الله عز وجل وأن تحرص على المكسب الحلال الذي تتزوج به، لأنك ستبني بيتا، فاحرص على أن تبنيه على تقوى من الله ورضوان.

مواضع رفع اليدين للدعاء

□ يسأل ح . س . ع من مدينة السادات: عن حكم رفع اليدين عند التأمين على دعاء الخطيب على المنبر في صلاة الجمعة؟

الجواب: لم يرو عن النبي ﷺ رفع اليدين بالدعاء في آخر خطبة الجمعة، لا للخطيب ولا للمصلين، وخير الهدي هدي هديه ﷺ.

كذلك لم ينقل عنه ﷺ أنه كان إذا انصرف من الصلاة رفع يديه ودعا.

أما رفع اليدين في الدعاء مطلقًا فهو من آداب الدعاء.

لعب الأطفال المصورة

□ ويسأل سائل: ما حكم الشرع في لعب الأطفال المجسمة التي على شكل حيوانات أو بشر؟ وهل يختلف الحكم بين البنات والبنين؟ وهل يختلف الحكم حسب السن؟

الجواب: في الحديث المتفق عليه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت ألعب بالبنات عند رسول الله ﷺ.

قال القاضي عياض في «إكمال المعلم» (٧/٤٤٧): «فيه جواز اللعب بهن، وتخصيصهن من الصور المنهي عنها لهذا الحديث، ولما في ذلك من تدريب النساء في صغرهن على النظر لأنفسهن وبيوتهن وأبنائهن»، لكن هذه الصور لم تكن منقوشة ولا منحوتة، ولا مطبوعة من المعادن ولا نحو ذلك، بل الظاهر أنها من عِهن أو قطن أو خرق، أو قصبة أو عظم بشكل يشبه الموجود في اللعب في أيدي البنات الآن في البلدان العربية البعيدة عن التمدن والحضارة، كما في صحيح البخاري من أن الصحابة كانوا يصوّمون أولادهم، فإذا طلبوا الطعام أعطوهم اللعب من العهن، يعللونهم بذلك.

أما الصور الجديدة الحادثة فلا تجوز، لما فيها من حقيقة التمثيل والمضاهاة، والمشابهة بخلق الله تعالى، لكونها صورًا تامة بكل اعتبار، ولها من المنظر الأنيق، والصنع الدقيق، والرونق الرائع ما لا يوجد مثله، ولا قريب منه في الصور التي أباحتها الشريعة المطهرة. اهـ. من مجلة البحوث الإسلامية- الرياض- العدد الحادي عشر (ص٢٧٤- ٢٧٥).

صلاة التسابيح

□ يسأل: محمود محمد أمين- العمرانية- جيزة: إمام يصلي ليلة ٢٧ من رمضان في صلاة التهجد صلاة التسابيح جماعة في كل عام؟

الجواب: الحديث الوارد في صلاة التسابيح فيه اختلاف كبير بين أهل الحديث، فمنهم من قبله، ومنهم من ردّه، وعلى قول من قبله لا تشرع الجماعة فيها في رمضان ولا في غيره، لأنه لم يرد عن السلف الصالح صلاتها جماعة.

العاجز عن الوفاء بالنذر

□ يسأل: محمد عبد المنعم علي:

حلف أن لا يفعل ذنبا ما، ثم فعله، وحلف إن فعله ثانية أن يصوم أسبوعين، ثم فعله، وعجز عن الصوم، فما يصنع؟

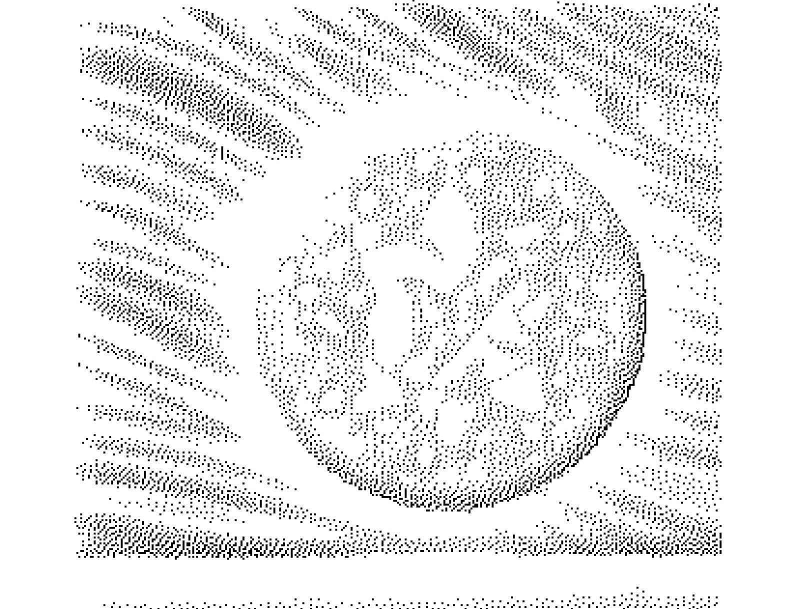
الجواب: أوصيك بوصية رسول الله ﷺ، استحي من الله كما تستحي من رجل صالح من قومك، وتذكر أن الله يراك، فبهذه المراقبة تتغلب على نفسك الأمارة بالسوء، وتقلع عن الذنب إن شاء الله.

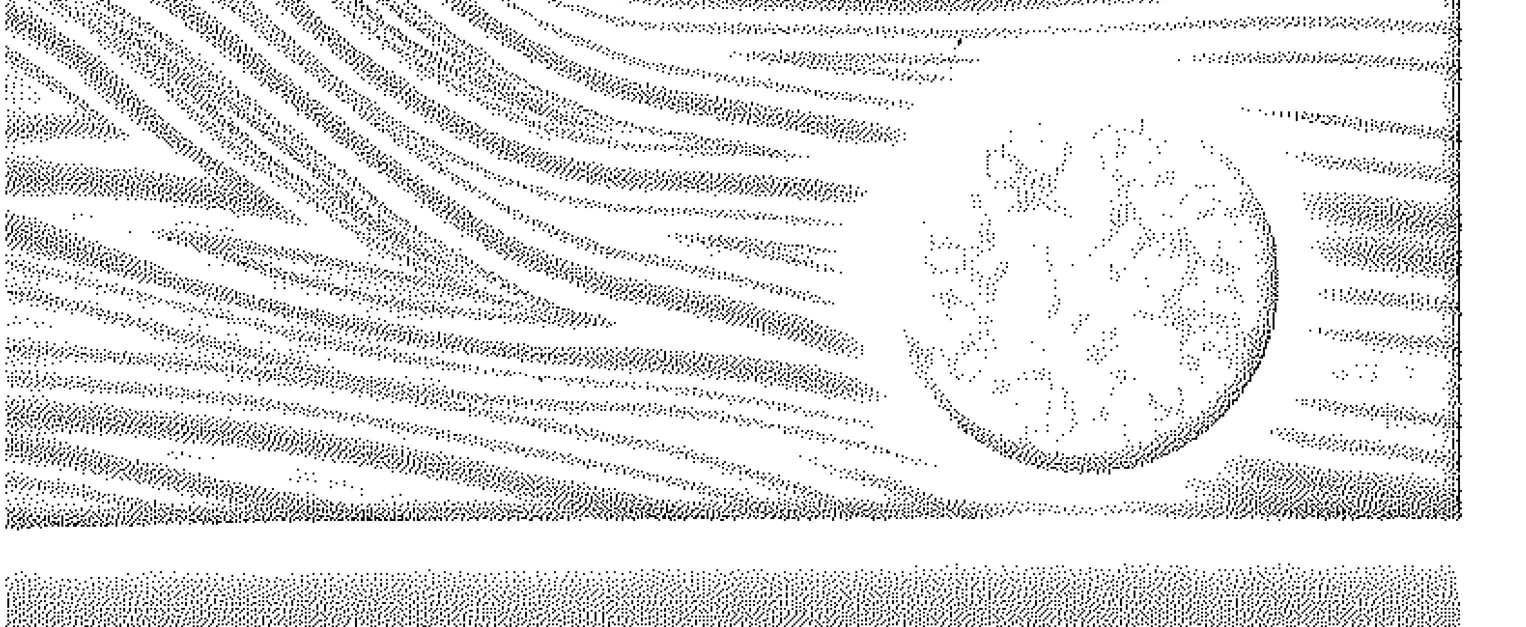
وعليك كفارة يمين عن اليمين التي حلفتها، وكفارة أخرى عن الصوم الذي عجزت عنه، ويسقط عنك بذلك الصوم.

قبول العوض في الجروح

□ يسأل: محمود إبراهيم كرات- مرسى مطروح: غلام رمى غلاما بخشبة ففقأت عينه، وبجلسة عرفية حكموا لهذا المفقوء عينه بمبلغ من المال، فهل أخذ هذا المبلغ جائز شرعا، وهل هو من حق الغلام المفقوء أم من حق والده؟

الجواب: هذا المبلغ جائز شرعًا حلال طيب، وهو للولد دون أبيه، إلا أن يحتاج أبوه فله أن يأخذ قدر حاجته؛ لقوله ﷺ: «أنت ومالك لأبيك».



من فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء

الحكم بالوفاة على من مات إكلينيكيًا

س: في الحالات التي تستلزم حالة المريض أو المصاب وضعه تحت أجهزة تعمل على تشغيل القلب والتنفس في آن واحد ميكانيكيا فإذا ثبت من تخطيط مخ المريض الذي يعمل بشكل دوري خلال ٢٤ ساعة أنه في حالة أفقية- مسطح- فإن ذلك يفيد أن المخ توقف تمامًا وأنه لا يعمل طيلة هذه المدة، الأمر الذي يفيد من وجهة النظر الطبية وفاة المريض، هل يجوز في هذه الحالة إيقاف الأجهزة التي تقوم بتشغيل القلب والتنفس أوتوماتيكيًا؟ ويهمنا أن نذكر أن الوفاة لن تعلن، إلا بعد التأكد من أن القلب قد توقف بعد رفع هذه الأجهزة وظهور العلامات المتعارف عليها شرعًا؟

الجواب: إذا كان الواقع كما ذكر، جاز إيقاف الأجهزة التي تشغل القلب وجهاز التنفس أوتوماتيكيًا إذا كان القلب لا ينبض والتنفس لا وجود له إلا بالأجهزة، لأنه على هذا يكون ميتًا، وحركة القلب والتنفس إنما هي بالأجهزة لا بحياة الشخص لكن يجب التأكد من موته بعد رفع الأجهزة، وقبل إعلان الموت للاحتياط.

طهارة طريح الفراش وصلاته

س: إني طريح الفراش ولا أقوى على الحركة فكيف أقوم بعملية الطهارة لأداء الصلاة وكيف أصلي؟

الجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه... وبعد:

أولاً: بالنسبة للطهارة يجب على المسلم أن يتطهر بالماء فإن عجز عن استعماله لمرض أو غيره تيمم بتراب طاهر، فإن عجز عن ذلك سقطت الطهارة وصلى حسب حاله؛ قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، وقال جل ذكره: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، أما ما يتعلق بالخارج من البول والغائط فيكفي فيه الاستجمار بحجر أو مدر (طين يابس) أو مناديل طاهرة يمسح بها محل الخارج ثلاث مرات أو أكثر حتى ينقى المحل.

ثانيًا بالنسبة للصلاة فإن الواجب على المريض الصلاة قائمًا، فإن لم يستطع صلى قاعدًا، فإن لم يستطع فعلى جنب؛ لما ثبت عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال: «صلّ قائمًا فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب». وقوله جل وعلا: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.

حفظ ما تمزق من أوراق المصحف

س: سائل يسأل عن الطرق التي يحفظ بها ما تمزق من المصاحف والكتب التي بها آيات من القرآن؟

الجواب: ما تمزق من المصاحف والكتب والأوراق التي بها آيات من القرآن يدفن بمكان طيب بعيد عن ممر الناس وعن مرامي

القاذورات، أو يحرق صيانة له ومحافظة عليه من الامتهان وذلك لفعل عثمان رضي الله عنه.

وقد ثبت في باب جمع القرآن من صحيح البخاري أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أمر أربعة من خيار قراء الصحابة بنسخ مصاحف من المصحف الذي كان قد جمع بأمر أبي بكر رضي الله عنهم، فلما فرغوا من ذلك أرسل عثمان إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سوى ذلك من القرآن في كل صحيفة ومصحف أن يحرق، ولم ينكر عليه أحد من الصحابة.

تخزين السلع للاحتكار

س: هل يجوز للمسلم تخزين السلع، وما أقصى مدة لهذا التخزين؟

الجواب: لا يجوز تخزين شيء الناس في حاجة إليه، ويسمى: الاحتكار؛ لقول النبي ﷺ: «لا يحتكر إلا خاطئ». رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه، ولما في ذلك من الإضرار بالمسلمين، أما ما كان الناس في غنى عنه فيجوز تخزينه حتى يحتاج الناس إليه، فيبذل لهم دفعًا للحرج والضرر عنهم، وبذلك يتبين أن مدة جواز التخزين مرتبطة بغنى الناس عما يخزن، طالت المدة أم قصرت.

حكم التسعير

س: ما القول في هذا الأمر بالنسبة للتجارة: يُلزَم البائع أن يبيع بسعر محدد (التسعيرة) وخاصة في الطعام، وهذه الأسعار ظلم للبائع؛ لأنها محددة منذ سنوات، والتكاليف على البائع أبهظ من هذه الأسعار، فيضطر التجار إلى احتكار السلع أو بيعها لمن يرضى بسعر مضاعف؟

الجواب: إذا تواطأ الباعة مثلاً من تجار ونحوهم على رفع أسعار ما لديهم أثرة منهم، فلولي الأمر تحديد سعر عادل للمبيعات مثلاً؛ إقامة للعدل بين البائعين والمشترين، وبناءً على القاعدة العامة، قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد، وإن لم يحصل تواطؤ منهم وإنما ارتفع السعر بسبب كثرة الطلب وقلة العرض دون احتيال، فليس لولي الأمر أن يحدد السعر، بل يترك الرعية يرزق الله بعضهم من بعض، وعلى هذا فلا يجوز للتجار أن يرفعوا السعر زيادة عن المعتاد.

وعلى هذا يحمل ما جاء عن أنس رضي الله عنه قال: غلا السعر على عهد النبي ﷺ؛ فقالوا: يا رسول الله، لو سعرت، فقال: «إن الله هو القابض الباسط الرازق المسعر، وإني لأرجو أن ألقى الله عز وجل ولا يطلبني أحد بمظلمة ظلمتها إياه في دم ولا مال». رواه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه، وما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله، سعر، فقال: «بل ادعوا الله»، ثم جاء رجل آخر فقال: يا رسول الله، سعر، فقال: «بل الله يخفض ويرفع». [رواه أحمد ٢/٣٣٧، ٣٧٢، وأبو داود ٣/٧٣١ رقم ٣٤٥٠ وصححه الألباني]



فتور الهمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:.

فالكسل داء عضال يقعد بالبدن عن كل منفعة من شأنها أن ترفع العبد درجات عند الله أو تزكي بها نفسه وتطهر بها قلبه وتصلح بها جوارحه، ولذلك تعوذ رسول الله ﷺ من العجز والكسل في دعائه المأثور «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال». [رواه مسلم]

وإن آفة كل دعوة هي الأتباع الكسالى، فهم ثقل على الدعوة لا لها، وكمّ من هَشّ كغثاء السيل لا وزن له ولا تأثير في تغيير مجرى الأحداث، فكل دعوة تقوم على أكتاف رجال باعوا أنفسهم لها، ووقفوا عليها ما يملكون من أسباب الحياة، وجذوة الإيمان في القلوب تحتاج إلى جهاد دائم لا يعرف الفتور والملل لتظل دائمًا متقدة في الصدور لتضيء السبيل وتكشف الغشاوة، وهذا هو الفارق بين همم الرجال واهتمامات الصغار، ومراتب الرجال توزن على قدر تضحياتهم من أجل الدين.

نتائج فتور الهمة

إن فتور الهمم قد تبعه الملل من رتابة العمل وفقدان لذة العبادة والطاعة، وكان من نتائج ذلك:

١) تحول العبادات إلى عادات:

لا تنبض بالحياة، فإذا الصلاة التي هي صلة بين العبد وربه ومناجاة يومية في أوقات معلومة بين الخالق والمخلوق، حركات رتيبة يؤديها العبد بالجسد فقط، دون تأثر للقلب، فيقف ببدنه في الصلاة وقلبه يصول ويجول في الزوجة والولد والوظيفة والتجارة ومتاع الدنيا الزائل، مع أنه ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها، ومن الناس من يدخل في صلاته وليس له منها إلا نصفها أو ثلثها أو ربعها أو ثمنها وربما خرج من الصلاة ولا صلاة له، فلا ترتفع فوق رأسه قيد شبر، وكذلك الأذكار المسنونة يؤديها البعض همهمة باللسان وقلَّ ما تثمر طمأنينة في القلب وانشراحًا في الصدر، وقد قيل: اطلب قلبك في ثلاثة مواضع: في الصلاة، وعند قراءة القرآن، وفي مجالس الذكر، فإن لم تجد قلبك في هذه المواضع فادع الله أن يمن عليك بقلب فإنه لا قلب لك، ويقاس على ذلك سائر العبادات اليومية والأسبوعية والشهرية والسنوية، كصيام رمضان وأداء الزكاة وحج البيت، فكل ذلك مما لم يستحضر العبد فيه همته مع الله وقلبه في كل منسك من المناسك وشعيرة من الشعائر خرج منها كما دخل فيها وبقي قلبه كما هو بلا طهارة ولا تزكية، والله عز وجل يريد قلوبًا لا قوالب، فالعبادات ما هي إلا وسائل لتزكية النفوس والبعد بها عن الفواحش والمنكرات - فضلا عن أنها تحقيق لكمال العبودية لله الواحد المعبود بحق - فهو أحق من عُبد وأفضل من ذُكر وأجود من أعطى وأكرم من شُكر.

إعداد
صلاح عبد المعبود

٢) عدم التأثر بالأمر والنهي:

على عكس ما كان عليه صدر الأمة الأول: وتلك علامة على قسوة القلب وضعف الإيمان، فإن المسارعة إلى الخيرات من صفات الصالحين وسيما المتقين، والقلب الحي هو الذي ينفعل بالموعظة ويتأثر بالكلمة الطيبة فهو أشبه بالأرض الخصبة التي تنبت من كل زوج بهيج وذلك إذا نزل عليها الماء الطهور، وعلة الأمر والنهي هي طاعة الآمِرِ عز وجل، ولا يأتي حسن التأسي والمتابعة وكمال الانقياد والموافقة إلا إذا كان المرء ذا قلب سليم، وأهل الإيمان والصلاح هم الذين يصبرون على أوامر الله ويلزمون أنفسهم حدود الله ويحفظون جوارحهم أن تزل أو تقع في محظور نهى الله عنه، فهم يترجمون معاني الخير سلوكًا واقعًا، وهو أمر يسير على من زكى قلبه بالطاعات والعبادات، وعسير غاية العسر على من أهمل قلبه وأطلق لنفسه العنان لترتع في وحل الشهوات والمعاصي والزلات.

سبب الاستجابة عند السلف

ولقد كانت استجابة الصحابة للأوامر والنواهي دلالة على صحة اليقين، ومما يُروى أن رجلا قال لابن مسعود رضي الله عنه اعهد إليَّ، فقال له: (إذا سمعت الله يقول في كتابه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فأرعها أذنك فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه) وإن البلاء العظيم أن تسود المؤمنين حالة من الإهمال وعدم الإحساس بالمسئولية المترتبة على عصيان الأوامر أو اجتناب النواهي، فهي تجر بالتالي إلى حالة من التبجح، وبعدها ينزع العبد ثوب الحياء والخوف، ومما قاله النبي ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت».

[رواه البخاري]

والحياء خير كله، وإذا فقد العبد الحياء فهو على المعصية جرئ، ولا تقف أمامه عقبة دون المخالفة واتباع الهوى والشيطان، وإن كلام الله ورسوله يقرع الأذان كل صباح ومساء ولا يلتفت إلى الأمر والنهي إلا مؤمن صادق الإيمان، لأنه يعلم أن النفع والخير والفلاح والنجاة في الانقياد التام والمتابعة الصادقة لأمر الله ورسوله.

٣) الاستهانة بالأعمال الشرعية:

فقد علم الناس قيمة الدرهم والدينار، واليورو والدولار، وقيمة الملبس والمسكن والمركب، ولكن قيمة الحسنة قد تضاءلت في أعينهم بسبب طغيان المادة الجامح، والحق أن الحسنة خير من القصور والأموال والثروات والجاه العريض، ولا يحرص عليها ويرغب فيها إلا مؤمن نافذ البصيرة، فهي العملة الوحيدة للتعامل مع الله تعالى يوم القيامة، ففي ساحة العرض على الله يوم الحساب، لا تنفع الوظائف ولا المراتب ولا الأموال ولا الأولاد، ولا يقوم مع العبد أوصياء ولا شفعاء إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى، ولا يجد من يدافع عنه أو يقرأ له كتابه، بل يُقال له يوم القيامة ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء:١٤] فلا يشفع له إلا عمله، ولا ينجيه إلا ما قدمه بين يديه، ولا يستر وجهه عن لفح النار ووهج جهنم إلا ستار الحسنات، ولا يُسرع به على الصراط إلا عمله فهو مطيته إلى الجنة، ومن أبطأ به عمله لم يُسرع به نسبه،

فليس بين الله وبين أحد من خلقه علاقة ولا نسب إلا ما كان من الطاعة والعمل الصالح.

أنواع من أبواب الخير

ولقد فتح لنا هذا الدين أبواب الخير على مصاريعها، فإن همم الناس في الطاعة تتفاوت، ومن يقدر على لون من الطاعة ربما لا يستطيع أن يقوم بآخر، ومن يمل نمطًا معينًا فهناك سعة وفسحة في عمل آخر، والله تعالى لا يمل حتى يمل عباده، وكلما أكثر العبد من الأعمال الصالحة فإن الله تعالى الكريم يجزي بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ويتقبل من عباده القليل من العمل ما دام مقرونًا بالإخلاص وابتغاء مرضاته عز وجل ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة:٥] ومن أبواب الخير الواسعة التي فتحها الله ويسرها على عباده: كثرة ذكر الله، وقراءة القرآن، والصلاة بالليل والناس نيام، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، والتزاور والتحاب في الله، وعمارة المساجد، وطلب العلم وتعليمه لمن لا يعلم، والدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، والصدقة، وإغاثة الملهوف، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإماطة الأذى عن الطريق، وإعانة الضعيف وإغاثة الملهوف، ومواساة الأرملة والمسكين، والإحسان إلى اليتيم، وغير ذلك كثير.

وهكذا يفتح لنا ديننا أبواب الخير الكثيرة، تيسيرًا على الأمة وترغيبًا لها في القدوم على الله والتقرب إليه بما يحبه ويرضاه من الأعمال ورفعًا للهمم في القلوب حتى تنشط في التشمير عن ساعد الجد بغية الوصول إلى الفردوس الأعلى والنعيم المقيم، ولا تحقرن من المعروف شيئًا.

عوامل تزكية النفوس

إن المؤمن لا يصمد أمام أعدائه إلا إذا كانت نفسه معينة له على ذلك - ولا تزكو النفس إلا بطول المجاهدة ودوام الذكر والطاعة، فمهمة العبد في هذه الدنيا أن يكون عابدًا طائعًا ذاكرًا منيبًا، فتلك هي الغاية من خلقه ومن تسخير السماوات والأرض له، ولا يُستعان على طاعة الله إلا بما يحبه ويرضاه، ولا يُطلب ما عند الله بمعصيته، ولا يثبت المؤمن في ساحة الجهاد إلا إذا زكى نفسه وطهر قلبه، فإن العدو الباطن أخطر من العدو الظاهر، وكلاهما أمرنا الله بمحاربته والاحتراز منه، ولكن الحذر واليقظة من العدو الباطن أولى وأهم، وذلك أن العدو الظاهر إن وجد فرصة ففي متاع الدنيا الفاني، والعدو الباطن إن وجد فرصة ففي الإيمان واليقين، والعدو الظاهر إن غلبنا كنا مأجورين، والعدو الباطن إن غلبنا كنا مفتونين، ومن قتله العدو الظاهر كان شهيدًا، ومن قتله العدو الباطن كان طريدًا، لذا كان الاحتراز من شر العدو الباطن أولى، ولا سبيل إلى ذلك إلا بدوام المراقبة والهمة العالية في العبادة والطاعة وكثرة ذكر الله تعالى على كل حال، والطاعة لها حلاوة حينما يستحضر العبد قيمتها وقدرها، وحينما يستشعر لذة القرب من مولاه وهو يناجيه ويتضرع بين يديه، فالصلة التي بين العبد والرب صلة حب وأنس وود وقرب، وإذا أصبحت العبادة عادة فإنها تصبح عبادة ميتة بلا روح، وحينئذ لن يكون لها أثر في السلوك والحياة، فالصلة بين العبد وربه يجب أن تكون حية دافقة تغذي شجرة الإيمان وترويها بماء الحياة.

وإن الفتور لا يتسرب إلى القلب ما دام العبد يجد في أعماقه شرف الصلة بينه وبين المعبود سبحانه، والملل لا يجد طريقه إلى نفسه ما دام يتطلع إلى المثوبة والفضل... ومن لمح فجر الأجر هان عليه ثقل التكليف...

كيف لا نخاف الله؟

إعداد
علي الوصيفي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

الخوف يكون بمعنى العلم بالأمر الحاضر، كما في قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة: ١٨٢]، ويكون بمعنى الظن في الأمر المستقبل لقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، ويكون بمعنى القتال كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ ﴾ [الأحزاب: ١٩]، ويكون بمعنى المصيبة كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ﴾ [النساء: ٨٣].

والخوف الذي نريد هو الخوف نفسه، الذي في قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [إبراهيم: ١٤]، ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦]، ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ﴾ [النازعات: ٤٠].

لم نقصد الخوف الذي يكون برؤية الغرائب والعجائب، ولا الخوف من بطش جبار أو ظالم، ولا الخوف من سبع أو حية، فهذا خوف فطري، ولا نقصد الخوف من فراق الدنيا والضَّيعَ والأموال، فهذا خوف أصحاب الأهواء، إنما نريد الخوف الذي هو ركن من أركان العبادة، الخوف من الله، الخوف من جلال جبروته والوقوف بين يديه، الخوف من سؤاله وحسابه، الخوف من عذابه وعقابه، الخوف من زوال الحجج وقطع العتاب وزلل الأقدام، وظهور ما لم يحتسب، ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر: ٤٧]، فتكون البشرى كما قال ابن عباس: «أبشر يا عدو الله بالنار» أو تكون «لا دريت ولا تليت ويضرب بمرزبة من الحديد لو نزلت على جبل لصار رمادًا». رواه أبو داود في السنة (٤٧٥٣)، وأحمد في المسند (١٨٠١٣)، وانظر صحيح الجامع (١٦٧١)، أو تكون أخذ كتابه بشماله من وراء ظهره»، فيقع الندم، ويصبح الهلاك أمنية، ﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴾ [الحاقة: ٢٥- ٢٧] أو تخف الموازين، وتهون الأعمال، وتُسحب الأمهات في قعر النار، ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ [القارعة: ٩- ١١]، أو الطرد من حوض الرسول ﷺ، فلا شراب ولا ترحاب، إنما طرد وإبعاد، قائلاً: «سحقا سحقا لمن بدل بعدي». متفق عليه، رواه البخاري في الرقاق (٦٢١٣) أو «تخطف كلاليب النار كل مسيء بعمله»، أو «يقول الرب الجليل: ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، فينقطع الرجاء، ويحل الجزع، ويستمر البلاء في النار ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر: ٤٨]. [صحيح الجامع (١٦٧١)]

الخوف من غير الله شرك أكبر

الخوف من غير الله تعالى، وهو خوف السر، أو خوف القلب بالغيب من نبي أو ملك أو ولي، أو الخوف عمومًا من ميت أو غائب، وهو شرك أكبر؛ لأن الخوف سرية قلبية، لا يطلع عليها إلا الله، فلا تكون إلا لله، وإذا كان لكل صفة من صفات الله تعالى عبودية خاصة بها، فصفات القهر والعظمة والجلال لها عبودية الخوف، فكيف يكون للمخلوق تلك العبادة الخاصة؟ وتلك الصفات إما هو مفتقر إليها وإما ناقصة عليلة فيه، بينما هي ثابتة بالكمال والجلال لله تعالى وحده، لا تشوبها شائبة ولا يعتريها نقص ولا يلحقها عدم.

ولذا كان صرف عُبّاد القبور تلك العبادة لغير الله من ملك أو نبي أو ولي تَعدٍّ وظلم ووضع للأمور في غير نصابها، ورفع للفقير الذليل إلى مرتبة جبار السماوات والأرض، وقد أرادوا من ورائها تخويف الناس من أوليائهم وشركائهم، وإبطال دعوة التوحيد، وهم يعلمون أن أولياءهم لا قدرة لهم على دفع ضر ولا جلب نفع، وهذا التخويف أثر من آثار ظلمهم، وتخويف ناتج من هوس عقولهم: ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١].

وقد كان الكفار الوثنيون عباد الأصنام يخوفون أنبياء الله بغير الله تعالى، فقوم هود يخوفونه عليه

السلام قائلين له: ﴿ إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ [هود: ٥٣]، ومثل هؤلاء لا شك يستحقون الإنكار والتشنيع، ولذا رد عليهم هود قائلاً ﴿ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ ﴾ [هود: ٥٤]، وكذلك رد إبراهيم عليه السلام من قبل عليهم قائلاً: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ﴾ [الأنعام: ٨١]، فبين لهم أن هذا النوع من التخويف بغير الله تعالى شرك أكبر، يستوجب صاحبه الخلود في النار، إذ لا برهان لهم فيما يعملون.

خوف محرّم وليس شركا

ويلي هذا الخوف وهو فرع منه من جهة المعصية ما يكون مانعًا من فعل طاعة، دافعًا للوقوع في معصية الله، وهو محرم مبغض، كالخوف من بطش جبار، فيمنع من العبادة والطاعة، مثل هذا الخوف ينبغي ألا يُعبأ به لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، والمعنى كما قال ابن القيم: يخوفكم بأوليائه ويعظمهم في صدوركم فلا تخافوهم وأفردوني بالمخافة أكفكم إياهم.

[بدائع الفوائد ٢/٤٦٣]

ويدفع هذا النوع من الخوف بقوله تعالى: ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ وهو قول إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، كما قال ابن عباس فيما رواه البخاري في تفسير القرآن (٤٢٨٧): «حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

الخوف مقام من مقامات الولاية

الخوف من الله حقيقة واقعة، يستشعرها القلب والجوارح على الدوام: ﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ [الطور: ٢٦]، فهو نزهة الفضلاء، وأمان الطائعين، ومخرج العاصين.

وقد خلق الله تعالى خلقًا لا يفارقهم الخوف من الله طرفة عين، وهم الملائكة الكرام، وقد ذكر الله تعالى في حالهم: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل:٥٠]، وقال ﷺ: «مررت ليلة أسري بي بالملأ الأعلى وجبريل كالحلس البالي من خشية الله تعالى». [حسن صحيح الجامع (٥٨٦٤]

وهذا الوصف ثابت للملائكة، حتى إن كفار قريش لم يكن يخفى عليهم ذلك، فهذا أمية بن أبي الصلت يصف الملائكة في شعره قائلاً:

فمن حامل إحدى قوائم عرشه ... ولولا إله الخلق كلوا وأبلدوا
قيام على الأقدام عانون تحته ... فرائصهم من شدة الخوف ترعد

فهم دائمًا خائفون، طامعون بعد الخوف والفزع في الأمان والرحمة: ﴿ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وهم في مقام الخوف والخشية لا يقدرون على شيء غير ذلك، مسخرون في قدر الله، مقهورون تحت سلطانه؟ ﴿ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦]، ويسبحون من خيفته: ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾ [الرعد:١٣] تسبيحًا لا ينقطع بالليل ولا بالنهار: ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٠]، وقد ورد في الأثر أن حملة العرش يسبحون الله إلى يوم القيامة، وروى ابن مردويه عن أنس قال النبي ﷺ: «أطت السماء وحُقّ لها أن تئط والذي نفس محمد بيده ما فيها موضع شبر إلا وفيه جبهة ملك ساجد يسبح لله بحمده». [انظر صحيح الجامع ١٠٢٠] وتسبيحهم يدل على جلال علومهم، وحسن تدبرهم، وقوة بلاغتهم وفهمهم وفصاحتهم.

فيقول بعضهم: «سبحانك على حلمك بعد علمك». ويقول بعضهم: «سبحانك على عفوك بعد قدرتك».

[تفسير ابن كثير ١/٥٧٢]

وعلى تلك الصفة عبد الأنبياء صلوات الله عليهم ربهم تعالى ذكره: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، فلا تسأل عن وجلهم وفزعهم، ولا تسأل عن خشيتهم وإشفاقهم، فهم أعلم الخلق بالله، وأصدق الناس في الخبر عن الله، وأفصح الناس بالتعبير عن مراد الله، وأرغب الخلق في الهداية إلى طريق الله، وأزهد الناس فيما عند الناس، فهل يكون ذلك بغير الخوف والعلم؟ فمن وصف الله كما وصفوا؟ ومن عرف الله كما عرفوا؟ ومن قدَّر الله حق قدره كما قدروا؟ فالعلم بالله وأوصافه يطيل الخوف، ويوطن الوجل ويربي الخشية، ويدعو إلى التسبيح والإنابة، فكيف لو رأى عذابه وجنته رأي العين، كيف سيكون الخوف؟ وفي الحديث يسأل الرب ملائكته وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي قالوا يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، قال :فيقول: هل رأوني؛ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك، قال: فيقول وكيف لو

رأوني قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدًا وتحميدًا وأكثر لك تسبيحًا قال: يقول: فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون لا والله يا رب ما رأوها؟ قال: يقول فكيف لو أنهم رأوها قال: يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا وأشد لها طلبًا وأعظم فيها رغبة، قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها، قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا وأشد لها مخافة، قال: فيقول فأشهدكم أني قد غفرت لهم. [متفق عليه، رواه البخاري في الدعوات عن أبي هريرة رضي الله عنه ٥٩٣٩]

خوف الرسول ﷺ

فأي خوف كان خوف الرسول ﷺ ، وقد عاين النار وعذابها، ورأى الجنة ونعيمها؟ لا شك أنه خوف عظيم، ووجل كبير، ودموع وفيرة، ورعدة شديدة، أخرج مسلم في صحيحه من حديث أنس عن رسول الله ﷺ ، أنه قال: «عرضت عليَّ الجنة والنار آنفًا في عرض هذا الحائط فلم أر كاليوم في الخير والشر لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا». [متفق عليه، رواه مسلم في كتاب الفضائل ٤٣٥١]

خوف السلف

وعن خوف السلف لا تسأل، فخوفهم من الله آية، وبكاؤهم علم وحال وغاية، إذا ذكرناهم اهتدينا، وإذا وزناهم افتضحنا، فهم بقية الخير، بينما نحن أسأنا، وهم أصل العز ومنبع النصر بينما نحن ضعفنا، قوم اصفرت وجوههم من الخوف، ونحلت أجسامهم من الطاعة، وهانت عليهم أنفسهم فاحتقروها في جنب الله، وتمردت عليهم فساقوها رغمًا عنها في مراد الله، عدوا سيئاتهم وغفلوا عن حسناتهم، قوم لا تنقطع دموعهم كأنهم في مصيبة، ولا يقف رجاؤهم كأنهم لا يظنون في أنفسهم خيرًا، فهم بين الخوف والرجاء يتقلبون، فلا بالخوف ييئسون ولا بالرجاء يأمنون، وهم يعالجون الخوف بالرجاء قبل أن يبلغ حد اليأس، ويعالجون الرجاء بالخوف قبل أن ينقلب إلى الأمن، فالخوف والرجاء يستويان عند أكثر السلف، وبذلك قال الحسن وأحمد، وهذا أصح وأبلغ ممن فرق بينهما، ذلك لأن الخوف والرجاء عبادتان متعلقتان بصفات الله تعالى فمن أبطل واحدة منهما فقد عطل عبودية الصفة المتعلقة بها، فالخوف متعلق بصفات القهر، والرجاء متعلق بصفات الرحمة، ولابد للمؤمن أن يثبت الأسماء الربانية والصفات المتعلقة بها والمقتضيات والآثار الناتجة منها والعبادات المترتبة عليها، فمن جمع بين الخوف والرجاء أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف، قال ﷺ : قال تعالى: «وعزتي وجلالي لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين إن هو أمنني في الدنيا أخفته يوم أجمع عبادي وإن هو خافني في الدنيا أمنته يوم أجمع عبادي».

[حسن: صحيح الجامع: ٤٣٣٢]

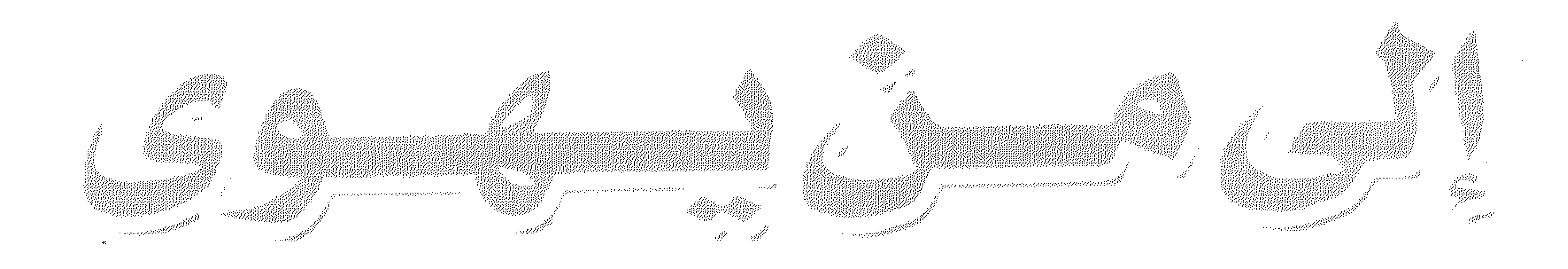
وعن أنس أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال: «كيف تجدك؟ قال: أرجو الله يا رسول الله وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ : لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف». [رواه الترمذي في الجنائز ٩٠٥، وابن ماجه في الزهد ٤٢٥١، وقال المنذري في الترغيب والترهيب ١٣٥/٤: قال الحافظ: إسناده حسن فإن جعفرًا صدوق صالح احتج به مسلم ووثقه النسائي وتكلم فيه الدارقطني وغيره]

فإن كان الخوف من الله هو طريق الأمن في الآخرة فهو طريق النصر في الدنيا والغلبة على أعداء الله تعالى، بل هو طريق الفهم عن الله تعالى وعن رسله وأنبيائه، ويكفي في ذلك ما فهمه رجلان من بني إسرائيل من قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾.

إن أقل الأسباب تغني في النصر ولو كان العدو من الجبابرة، وهذا وعد من الله، كما ظهر من الآية: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ البَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، وقد وصف الله تعالى الرجلين الناصحين بالخوف من الله من جهة وصيانة سر موسى عليه السلام دون غيرهما من جهة أخرى، قال تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ [المائدة: ٢٣].

فمن قدم على الله تعالى بالكبر والغرور والتولي والإعراض خسأ وهلك في الدنيا والآخرة، ومن عبد الله بالخوف والرجاء والحب فاز ونجا، ومن ترك واحدة على حساب الأخرى ذل وغوى، ولذا ورد عن بعض السلف، كما في «بدائع الفوائد» (٥٢٢/٣) من عبد الله بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجيء، ومن عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبد الله بالخوف والرجاء والحب فهو مؤمن موحد. اهـ.

وللحديث بقية إن شاء الله.



إلى من يهوى

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وبعد:

إن الإيمان باليوم الآخر هو التصديق الجازم بانقلاب هائل يتم في الكون ويكون انتهاء هذه الحياة الدنيا بكاملها وابتداء حياة أخرى وهي الدار الآخرة بكل ما فيها من حقائق مدهشة من بعث الخلق وحشرهم وحسابهم ومجازاتهم.

وبالجملة فإن معتقد الإيمان بالله واليوم الآخر هذا رأس كل عقيدة وأساس كل إيمان وعليه مدار استقامة الإنسان وصلاح خُلقه وطهارة روحه.

[عقيدة المؤمن بتصرف]

الدعوة إلى الجنة:

والله عز وجل الرحيم الرحمن يدعونا في كل وقت وآن في القرآن وفي سنة سيد الأنبياء إلى السباق نحو الجنان لنعيش في أمن وأمان في الدنيا ويوم تشيب الولدان نسأله حسن الختام ودخول الجنان.

يقول تعالى: ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٠- ٧١].

يقول السعدي رحمه الله قوله تعالى: «ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين»، وهذا لفظ جامع يأتي على كل نعيم وفرح وقرة عين وسرور قلب، فكل ما اشتهته النفوس من مطاعم ومشارب وملابس ومناكح، ولذته العيون من مناظر حسنة وأشجار محدقة، ونعم مونقة ومبان مزخرفة فإنه حاصل ما فيها معد لأهلها على أكمل وجه وأفضله.

[تفسير السعدي: ٧٦٩]

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تبارك وتعالى: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

والمعنى مهما تتخيل وتتصور ويجول في خاطرك من نعيم الجنة فلن تصل إلى حقيقة هذا النعيم إلا بقدر ما جاء القرآن والسنة على سبيل التقريب والتشويق، وهنا تأتي العظمة على أن الذي أعدها هو الله سبحانه وتعالى.

الكلام عن الجنة مريح للنفوس مطمئن للصدور محبب للأفئدة المؤمنة نحو الشوق إليها وسيكون الكلام عن بعض مساكن الجنة وبعض مواصفاتها وصفات من يدخلها والطريق إليها.

مساكن طيبة:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف: ١٠- ١٢]، في هذه الآيات نداء واستفهام وعمل وجزاء؛ أما النداء فهو من الملك سبحانه وتعالى ينادي على عباده المؤمنين.

والاستفهام: «هل أدلكم» وهو للتشويق وإيقاظ الهمة، وحث النفوس نحو هذه التجارة، وأركان التجارة مع الله عز وجل وهي تقوم على:

الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ.

الجهاد في سبيل الله، ويشمل:

١- جهاد العبد فيما بينه وبين نفسه، وهو قهر النفس ومنعها عن المحرمات.

٢- وجهاد بينه وبين الخلق وهو أن يدع الطمع فيهم ويشفق عليهم ويرحمهم.

٣- وجهاد أعداء الله بالنفس والمال لنصرة دين الله.

قوله: «يدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار»: أي يدخلكم حدائق وبساتين تجري من تحت قصورها أنهار الجنة، «ومساكن طيبة في جنات عدن» أي: ويسكنكم قصورًا رفيعة في جنات عدن.

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «حُجبت النار بالشهوات وحُجبت الجنة بالمكاره».

يقول الحافظ ابن حجر: المراد بالمكاره هنا ما أمر المكلف بمجاهدة نفسه فيه فعلا وتركًا كالإتيان بالعبادات على وجهها والمحافظة عليها واجتناب المنهيات قولاً وفعلاً، وأطلق عليها المكاره لمشقتها على العامل وصعوبتها عليه؛ ومن جملتها الصبر على المصيبة والتسليم لأمر الله، فكأنه يقول صلى الله عليه وسل لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المشقات المعبر عنها بالمكروهات. [فتح الباري: ١١/ ٣٢٨]

سكن الجنة

إعداد
صلاح عبد الخالق

من مساكن الجنة

أولاً: الفردوس الأعلى:

في صحيح البخاري (٢٧٩٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة».

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: قوله ﷺ: «أوسط الجنة وأعلى الجنة» المراد بالأوسط هنا الأعدل والأفضل كقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ فعلى هذا عطف الأعلى عليه للتأكيد.

قال ابن حبان: المراد بالأوسط السعة، وبالأعلى الفوقية، وفي الحديث إشارة: إلى أن درجة المجاهد قد ينالها غير المجاهد إما بالنية الخالصة أو بما يوازيه من الأعمال الصالحة لأنه ﷺ أمر الجميع بالدعاء بالفردوس بعد أن أعلمهم أنه أعد ذلك للمجاهدين.

هؤلاء ساكنو الفردوس:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾ [الكهف: ١٠٧- ١٠٨].

هؤلاء السعداء صدقوا في إيمانهم فصلحت أعمالهم، ومن هذه الأعمال ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١- ١١].

يقول العلامة السعدي: هذا تنويه من الله بذكر عباده المؤمنين وذكر فلاحهم وسعادتهم، وبأي شيء وصلوا إلى ذلك، وفي ضمن ذلك الحث على الاتصاف بصفاتهم والترغيب فيها، فليزن العبد نفسه وغيره على هذه الآيات، يعرف بذلك ما معه وما مع غيره من الإيمان زيادة ونقصًا، كثرة وقلة. [تفسير السعدي: ٥٤٧].

في صحيح الترغيب (٩٥١/٤) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «خلق الله تبارك وتعالى الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك وقال لها تكلمي فقالت: قد أفلح المؤمنون، فقالت الملائكة طوبى لك منزل الملوك».

صفة مباني الجنة

في سنن الترمذي عن أبي هريرة قال: قلنا: يا رسول الله: الجنة ما بناؤها؟ قال: لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران، من يدخلها ينعم لا يبأس ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم... [أخرجه الترمذي ح٢٥٢٦ وصححه الألباني]

هذا البناء العظيم، لبناته واحدة من ذهب والأخرى من فضة، والذي يربط بين اللبنتين المسك الأذفر (الملاط) والحصباء: صغار الحجارة من اللؤلؤ والياقوت وتربتها: الزعفران.

ثانيًا: غرف الجنة:

من هم ساكنو هذه الغرف؟ وما صفاتهم؟ من ساكني الغرف:

أ- عباد الرحمن: قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧) وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [المؤمنون: ٦٣- ٧٦].

يقول القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ أولئك: خبر، وعباد الرحمن: مبتدأ، وهو أحسن ما قيل فيه وما تخلل بين المبتدأ وخبره أوصافهم من التحلي والتخلي

وهي إحدى عشرة: [التواضع، الحلم، التهجد، الخوف، وترك الإسراف والاقتار، والنزاهة عن (الشرك والزنى والقتل)، والتوبة وتجنب الكذب، والعفو عن المسيء وقبول المواعظ والابتهال إلى الله]. و«الغرفة»: الدرجة الرفيعة وهي أعلى منازل الجنة وأفضلها كما أن الغرفة أعلى مساكن الدنيا. «بما صبروا»: أي بصبرهم على أمر ربهم وطاعة نبيهم عليه أفضل الصلاة والسلام.

ب- المتقون:

قال تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ [الزمر: ٢٠].

المعنى: لكن الذين خافوا عذاب الله وراقبوه في السر والعلن وأخلصوا له العبادة أعد لهم في الجنة غرفًا من فوقها غرف وهي قصورٌ عالية ذات طبقات مزخرفات قد تم بناؤها بحالة تشرح الصدر وتسر العين، فالأنهار تجري من تحتها لكمال بهجتها وزيادة رونقها وهذا وعد الله للمتقين المؤمنين.

ج- المصدقون بالمرسلين:

في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم»، قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال ﷺ: «بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين».

قال الحافظ ابن حجر: قوله ﷺ «يتراءون»: المعنى: أن أهل الجنة تتفاوت منازلهم بحسب درجاتهم في الفضل، حتى إن أهل الدرجات العلى ليراهم من هم أسفل منهم كالنجوم، وقد بين ذلك في الحديث بقوله ﷺ: «لتفاضل ما بينهم».

قوله ﷺ: «صدقوا المرسلين» أي تصديقًا يظهر واضحًا في القول والعمل والطاعة لأنه سيجاور النبيين والصديقين والشهداء، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

د- المكثرون من الطاعات:

في سنن الترمذي عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لغرفًا يُرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها» فقام إليه أعرابي فقال: لمن هي يا نبي الله؟ قال: «هي لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى لله بالليل والناس نيام» هذه الغرف من حسنها وبهائها وصفائها يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها من علوها وارتفاعها.

هـ- المتحابون في الله تعالى:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن المتحابين لترى غرفهم في الجنة كالكوكب الطالع الشرقي أو الغربي فيقال من هؤلاء فيقال المتحابون في الله عز وجل».

[مسند الإمام أحمد (٣/٨٧) ورجاله رجال الصحيح]

و- الشهداء:

عن نعيم بن همّار أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أيّ الشهداء أفضل؟ قال: الذين إن يلقوا في الصف لا يلفتون وجوههم حتى يُقتلوا، أولئك ينطلقون في الغرف العلا من الجنة ويضحك إليهم ربهم، وإذا ضحك ربك إلى عبد في الدنيا فلا حساب عليه.

[رواه أحمد ٢٢٣٧٥ وأبو يعلى ورجالهما ثقات]

ز- قارئوا القرآن:

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كنت جالسًا عند النبي ﷺ فسمعته يقول: «تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة ثم سكت ساعة ثم قال تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان وإنهما تظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف وإن القرآن يأتي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول ما أعرفك! فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك بالهواجر وأسهرت ليلك وإن كل تاجر من وراء تجارته وإنك اليوم من وراء كل تجارة فيُعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويُوضع على رأسه تاج الوقار ويُكسى ولداه حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال بأخذ ولدكما القرآن ثم يقال له: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها فهو في صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلاً».

مسند الإمام أحمد (٥/٣٤٨) برقم (٢٢٨٤٥)، والحديث حسن بشواهده من هذا الحديث نأخذ تلاوة القرآن من أفضل أنواع التجارة مع الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩- ٣٠]، نفع الوالدين بالأمن يوم الفزع الأكبر، والحصول على أعلى غرف ودرجات الجنة.

كل هذه البركات ينالها من صاحب القرآن قولاً وعملاً فمن كان كذلك فإن بركة القرآن لا تتركه وتنجيه بفضل الله عز وجل من كل المهالك فأسرع إلى حفظ القرآن قولاً وعملاً وإخلاصًا وصدقًا حتى تلحق بهؤلاء السعداء.

نسأل الله الفردوس الأعلى.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

صور مرفوضة في التعامل مع المخطئين

إعداد / محمد فتحي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن هناك أمورًا كثيرة تحصل من البعض وخاصة من يدعي الاستقامة، تجاه العصاة والمخطئين، تنفرهم من التوبة، وتقنطهم من الرحمة، وتسد أمامهم طريق الأوبة والعودة، فتكون هذه الأفعال سبباً في تمادي العصاة في الغفلة، ونفورهم من الطاعة والسنة، وكل هذا يحصل بسبب الجهل والهوى.

ومن هذه الأفعال:

١- احتقار المخطئين والمذنبين وازدراؤهم:

هذا المسلك الخطير مدخل من مداخل الشيطان الرجيم، لإحباط عمل الطائعين، وإفساد كثير من المستقيمين؛ فاحتقار العاصين ناتج عن عجب وغرور في صدور أولئك المحتقرين، وهذا مُشاهد للأسف من كثير ممن سلك طريق السنة، والتزم طريق الاستقامة، فظن بذلك أنه صار من خواص الخواص وأن بقية الناس من العوام؛ فأنتج ذلك احتقاراً وازدراءً لهم، فوقع بذلك في حبائل الشيطان وشَرَكه.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ...﴾ [الحجرات: ١١].

قال ابن زيد: لا يسخر مَن سَتَر الله عليه ذنوبه ممن كشفه الله فلعل إظهار ذنوبه في الدنيا خير له في الآخرة.

قال الألوسي: تشير الآية إلى ترك الإعجاب بالنفس والنظر إلى أحد بعين الاحتقار فإن الظاهر لا يُعبأ به والباطن لا يُطلع عليه فرب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله تعالى لأبره.

قال رسول الله ﷺ: «.... بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم».

قال ابن رجب: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم يعني يكفيه من الشر احتقاره أخاه المسلم فإنه إنما يحقر أخاه المسلم لتكبره عليه والكبر من أعظم خصال الشر وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ قال: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر.

عن عمر بن الخطاب: أن رجلا على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك رسول الله ﷺ وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب فأتى به يوما فأمر به فجلد فقال رجل من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به فقال النبي ﷺ: «لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله». [أخرجه البخاري].

٢- الفظاظة والغلظة:

إن الغيرة على الحق ما غلبت على نفوس الأمة إلا استقامت سيرتها؛ وعلت في الأمم سمعتها، وحسنت في كلا الحياتين عاقبتها، ولكن لهذه الغيرة ضوابط وآداب يجدر الأخذ بها واتباعها؛ حتى لا تنقلب إلى شدة وغلظة تؤدي إلى عواقب وخيمة.

قال الله تعالى لنبيه ومصطفاه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾. [آل عمران: ١٥٩]. اتفقوا على أنها نزلت في حق الذين انهزموا يوم أحد فإنه لم يغلظ على الذين خالفوا أمره حتى كانوا سببا لقتل من قتل من المسلمين.

فقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ يدل على وجوب استعمال اللين والرفق وترك الفظاظة والغلظة في الدعاء إلى

الله تعالى كما قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ... ﴾.

فلمَ الغلظة، لقد أرسل الله من هو خير مني ومنك إلى من هو شر من حكم على وجه الأرض، أرسل موسى عليه السلام إلى فرعون الطاغية، قال له: ﴿ فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ هذا القول لمن قال: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ﴾، ولمن قال: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾، مع كل هذا ﴿ قُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا ﴾.

وليس من الرفق والحلم والأناة إضاعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتكاسل في الدعوة إلى الله بالحسنى، ولا القعود عن نصرة المظلومين، ومحبة المؤمنين، والبراءة من الكافرين، وبغض المنافقين، ولكن الرفق والحلم والأناة تريث وتعقل في الحركات، وتأن وعدم عجلة في التصرفات، ونظر محمود في العواقب، وتقدير وتغليب للمصالح والمفاسد، إنه كبح جماح النفس والهوى، واستماع لذوي العلم والفضل والنهى.

ولا يفسد العنف أمراً من الأمور مثلما يفسد الدعوة إلى الله أو المناصحة، فالغلظة أو الشدة فيهما تؤدي إلى رفضهما، والوقوف منها موقفاً معانداً مكابراً، حتى وإن كان الحق فيهما واضحاً. وهذا كله لا يمكن أن يتم إلا بالحكمة وحسن التأني للأمور، والمعرفة بطبيعة الإنسان وعناده، وجموده على القديم، وأنه أكثر شيء جدلا، فلا بد من الترفق في الدخول إلى عقله، والتسلل إلى قلبه، حتى نلين من شدته، ونكفكف من جموده، فالله الله في التعامل مع المخطئين والمذنبين والرفق الرفق بهم وترك الفظاظة والغلظة معهم فإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه.

عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: « إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه ».

وما قصة الأعرابي الذي بال في المسجد، وعلاج النبي ﷺ بالرفق واللين إلا خير شاهد وأقوى دليل على وجوب الحكمة والرفق في أشباه هذه الأمور.

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه في قوله تبارك وتعالى: ﴿ ...فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ هو الرجل يشتمه أخوه فيقول: إن كنت كاذباً فغفر الله لك، وإن كنت صادقاً فغفر الله لي.

وما أجمل ما قال الشافعي رحمه الله:

يخاطبني السفيه بكل قبح ... فأكره أن أكون له مجيبا

يزيد سفاهة فأزيد حلما ... كعود زاده الإحراق طيبا

فبالحلم والرفق والأناة ينبغي أن يربى الآباء والأمهات البنين والبنات، وأن يكون جزءا مهما من وظيفة المربين، وأسلوبا عمليا للمعلمين، ونهجا متبعا للقادة والمسئولين، خاصة تجاه المذنبين والمخطئين.

٣- الطيش والحدة في معالجة الخطأ

لابد أن نتذكر أن اللوم لا يأتي بنتائج إيجابية في الغالب، واللوم مثل الطيور مهيضة الجناح، التي ما إن تطير حتى تعود إلى أوكارها سريعاً، أو مثل السهم القاتل الذي ما إن ينطلق حتى ترده الريح على صاحبه فيؤذيه، ذلك أن اللوم يحطم كبرياء النفس البشرية، ويكفيك أنه ليس أحد في الدنيا يعشق اللوم ويهواه.

وكم خسر العالم كثيراً من الأفذاذ وتحطمت نفسياتهم؛ بسبب اللوم المباشر الموجه إليهم من المربين، فالمخطئ أحياناً لا يشعر أنه مخطئ، ومن كان هذا حاله فمن الصعب أن يوجه له لومٌ مباشرٌ وعتابٌ قاسٍ، وهو يرى أنه مصيب. إذن لابد أن يشعر أنه مخطئ أولاً حتى يبحث هو عن الصواب؛ لابد أن نزيل الغشاوة عن عينه ليبصر الخطأ.

عن أبي أمامة أن فتى من قريش أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، ائذن لي في الزنا فأقبل القوم عليه وزجروه فقالوا: مه مه فقال: أدنه فدنا

منه قريبا فقال: أتحبه لأمك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم. قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم. قال: أتحبه لعمتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم. قال: أتحبه لخالتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم. قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه. قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء. [مسند أحمد] فكان الزنا أبغض شيء إلى ذلك الشاب فيما بعد.

وكذلك في قصة معاوية بن الحكم:

عن معاوية بن الحكم السلمي قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم فقلت: واثكل أمياه ما شأنكم تنظرون إلي فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن». [أخرجه مسلم].

قال النووي: قوله فبأبي هو وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه فيه بيان ما كان عليه رسول الله ﷺ من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به ورفقه بالجاهل ورأفته بأمته وشفقته عليهم وفيه التخلق بخلقه ﷺ في الرفق بالجاهل وحسن تعليمه واللطف به.

أما ما نراه من الطيش والحدة وخفة الأحلام في التعامل مع الأخطاء؛ فإنه يفسد ولا يصلح، يبعد ولا يقرب، ينفر ولا يجمع، يصد عن سبيل الله ولا يدعو إليه، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾

٤- التشهير بهم وذكر أسمائهم:

كان من هديه ﷺ أنه لا يواجه أحدا بما يكره بل ينصح ولا يفضح، يلمح ولا يصرح، يعمم ولا يخصص، ويستر ولا يشهر، فيقول ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا وكان يكني عما اضطره الكلام فيما يكره استقباحا للتصريح، وعلى هذا الخلق الكريم تربى أصحابه الأطهار الميامين.

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل: ما بال فلان يقول كذا، ولكن يقول: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا.

وشواهد ذلك أكثر من أن تحصر.

عن أنس أن نفرا من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فحمد الله وأثنى عليه فقال: ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني.

وفي موقف آخر يقول: أما بعد فما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله ما كان من شرط ليس في كتاب الله عز وجل فهو باطل وإن كان مائة شرط. كتاب الله أحق وشرط الله أوثق ما بال رجال منكم يقول أحدهم: أعتق فلانا والولاء لي إنما الولاء لمن أعتق.

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: صنع رسول الله ﷺ أمرا فترخص فيه، فبلغ ذلك ناسا من أصحابه فكأنهم كرهوه وتنزهوا عنه، فبلغه ذلك فقام خطيبا فقال: ما بال رجال بلغهم عني أمر ترخصت فيه فكرهوه وتنزهوا عنه فو الله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية.

أما أصحابه فحدث ولا حرج، فهذا فاروق الأمة المحدث الملهم أمير المؤمنين الذي ما سلك فجا إلا وسلك الشيطان فجا غير فجه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما عمر بن الخطاب يخطب الناس يوم الجمعة إذ دخل

عثمان بن عفان فعرض به عمر فقال: ما بال رجال يتأخرون بعد النداء فقال عثمان: يا أمير المؤمنين ما زدت حين سمعت النداء أن توضأت ثم أقبلت فقال عمر: والوضوء أيضا ألم تسمعوا رسول الله ﷺ يقول إذا جاء أحدكم إلى الجمعة فليغتسل.

وهذا كاتب وحي النبي ﷺ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه يبلغه أمر فيقوم خطيبا ويقول: ألا ما بال رجال يتحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث قد كنا نشهده ونصحبه فلم نسمعها منه.

بل هذه امرأة لكنها تزن كثيرا من الرجال صحابية تربت في عصر النبوة، تعلم الأمة كيف تتعامل مع المذنبين والمخطئين إنها أم الدرداء رضي الله عنها تقول: من وعظ أخاه سرا فقد زانه ومن وعظه علانية فقد شانه.

٥- الشماتة:

الشماتة هي فرح الشخص بما يسوء عدوه. وقيل الشماتة الفرح ببلية تنزل بمن تعاديه أو يعاديك.

قال القرطبي: والشماتة السرور بما يصيب أخاك من المصائب في الدين والدنيا وهي محرمة منهي عنها وفي الحديث عن النبي ﷺ «لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك». [أخرجه الترمذي وحسنه] وكان رسول الله ﷺ يتعوذ منها ويقول: «اللهم إني أعوذ بك من سوء القضاء ودرك الشقاء وشماتة الأعداء». أخرجه البخاري.

وقد ورد: أن من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله.

وقال الشاعر:

إذا ما الدهر جر على أناس
كلاكله أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا

قال القرطبي: وفي هذه الآية ﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس:٢٦-٢٧] تنبيه عظيم ودلالة على وجوب كظم الغيظ والحلم عن أهل الجهل والترؤف على من أدخل نفسه في غمار الأشرار وأهل البغي والتشمر في تخليصه والتلطف في افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة والدعاء عليه ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام.

فإذا كان هذا في حق الكفار والمشركين فكيف بالتعامل مع المخطئين والمذنبين من الموحدين.



٦٠٠ جنيه للكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر.

١٢٥ دولارا لمن يطلبها خارج مصر بخلاف سعر الشحن ٧٥ دولارا للشحن.

علما بأن منفذ البيع الوحيد في المركز العام هو الدور السابع بمقر مجلة التوحيد